السبت 30 كانون الأول 2023
العدد 5097 السنة الثامنة عشرة
Samedi 30 Décembre 2023 nº 5097 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

المقاومة الفلسطينية تُعيدنا إلى «صحراء الواقع»

مقاتلو الحرب الناعمة

نادي صناعة قرار الحرب
صلة دم بين تل أبيب وواشنطن

[12ـ15]

هوكشتين عائد: إسرائيل تريد اتفاقاً

[8]

العدو يودّع عام الخيبة

(أ ف ب)

تحتجب «الأخبار» يومي الاثنين والثلاثاء لمناسبة رأس السنة الميلادية

طوفان الأقصى

الحرب تستهلك نفسها مقاومو غزّة مرتاحون

غزة - **يوسف فارس**

بعد 54 يوماً من بدء العملية البرية، تواصل المقاومة تقديم مشهد أسطوري في التصدّي للتوغّل البري، إذ أعلن الناطق العسكري باسم «كتائب القسام»، أبو عبيدة، أول من أمس، «تدمير وإعطاب نحو 825 آلية عسكرية»، ما يعني أن «القسّام» وحدها دمّرت بشكل يومي ما معدّله 15 آلية، فيما «سرايا القدس» تُعلن، هي الأخرى، بشكل يومي عن استهداف عدة آليات. هذا الضغط الميداني، أجبر بلا شكّ، القوّات البرية على تقليص مساحة تمدّدها الأفقي في الأحياء الشمالية من قطاع غزة، وتركيز الزخم العملياتي على نقاط محصورة في أحياء الدرج والتفاح في شرق مدينة غزة، ومخيمات البريج والمغازي في وسطها، ومدينة خانيونس جنوبي القطاع. أمّا في الشمال، فقد واصلت القوات الإسرائيلية التراجع وإعادة التموضع، من عمق ميداني، في حديث إلى «الأخبار» أثناء مدّة التهدئة، هي أن ما تنشره المقاومة من إحصائيات ومقاطع مصوّرة، ليس سوى جزء ممّا تستطيع توثيقه. إذ إن التواصل بين الخلايا العاملة في الميدان وقيادة الإعلام العسكري لـ«كتائب القسام»، لا تكون دائماً في وضع نموذجي يسمح بتقديم كلّ البيانات والمعلومات، خصوصاً في حالات اشتداد القتال. ولذا، يؤجَّل الإعلان عن قدر كبير من على خطوط التماس كافة، ما دفع الدبابات الإسرائيلية إلى التقدّم مجدّداً في أحياء بيت لاهيا، في محاولة لصناعة ما يشبه حائط صدّ أمامي، يمنع المقاومين من العمل في اتجاه المواقع المستحدثة للجيش الإسرائيلي، والتي يُعسكر فيها الآلاف من الجنود والآليات.

في غضون ذلك، يمكن القول إن المقاومة، في الوقت الحالي، تعيش ذروة فترات ارتياحها الميداني، حيث ساهم تبادل التجربة والخبرات بين المقاتلين في محاور القتال، في حرمان العدو من كلّ عناصر المفاجأة، فيما تبدي المقاومة تكتيكات شديدة المرونة، إذ، ببساطة، يُسمح للدبابات الإسرائيلية بالتقدّم، بينما يكمن المقاومون لساعات أو حتى أيام لها. وحينما تتراجع حدّة النيران والقصف، تبدأ «الجيوب» في المواجهة وتفعيل الشراك والكمائن المميتة. ومن هنا، بقع جيش الاحتلال، في كل مرّة، في زلّة الفقر المعلوماتي والاستخباري. ويقول شاهد عيان جرى اعتقاله من منزله في شمال غزة، لـ«الأخبار»، إن «ضبّاط الشاباك طلبوا منه إخبارهم بأي معلومة يمكن أن تقودهم إلى المنازل المفخّخة، مقابل الإفراج عن مئات المعتقلين الشباب من أفراد حيّه على الفور». على أن ما يعقّد المشهد الميداني من جهة قوات العدو، هو

> يحاول جيش العدو الوصول إلى إنجاز عملياتي يصنع صورة النصر التي يمكن أن يتوقّف عندها القتال

كيف توثّق المقاومة عمليّاتها؟

لعلّ واحدةً من أبرز الملاحظات المهمّة التي سجّلها مصدر ميداني، في حديث إلى «الأخبار» أثناء مدّة التهدئة، هي أن ما تنشره المقاومة من إحصائيات ومقاطع مصوّرة، ليس سوى جزء ممّا تستطيع توثيقه. إذ إن التواصل بين الخلايا العاملة في الميدان وقيادة الإعلام العسكري لـ«كتائب القسام»، لا تكون دائماً في وضع نموذجي يسمح بتقديم كلّ البيانات والمعلومات، خصوصاً في حالات اشتداد القتال. ولذا، يؤجَّل الإعلان عن قدر كبير من العمليات إلى حين تراجع حدّة القصف الجوي أو انتهاء العملية البرية في المناطق الساخنة. وفي خلال اليومين الماضيين، وعلى وقع انسحاب قوات العدو من مناطق واسعة في شمال وادي غزة، أهمها الشجاعية ومخيم جباليا وبيت حانون وتل الزعتر، نشر الإعلام العسكري العشرات من المقاطع المصوّرة التي تُظهر التحام المقاومين مع جنود العدو بشكل مباشر. وكانت «كتيبة الشجاعية» صاحبة النصيب الأكبر من تلك المشاهد، إذ أظهرت الفيديوات المأخوذة بكاميرات احترافية وجودة عالية، تدمير العشرات من الآليات، ومواجهات مع القوات الراجلة لجيش الاحتلال من مسافة عدّة أمتار. كما يَظهر في المشاهد مقاومو «القسام» بكامل لباسهم العسكري، ولا يفصل بينهم وبين جنود قوات «جفعاتي» سوى جدار أو بناية واحدة. ووسط ذلك، يعطي قائد خلية «القسام» التعليمات: «الرامي والمصور والمساعد لينقدموا». هكذا بأعصاب باردة، يدير المقاومون معاركهم مع أقوى آلوية العدو. في خانيونس أيضاً، تُظهر المشاهد الجديدة حرب شوارع من الطراز الرفيع، حيث يتسلّل الشبان المقاومون من مناطق التوغل البري، ليوم، أو أسبوع أو حتى شهر كامل، من دون أن يكون لدى أفرادها سوى سلاحهم وقليل من التمر، في غياب أيّ وسائل للتواصل التكنولوجي. هنا، ينتظرون الفرصة المناسبة للهجوم، وحينما تحين، يضربون ضربتهم ثمّ يعيدون الكمون، إلى حين توافر فرصة مناسبة للانسحاب، وتلك الفرصة قد تطول كذلك يوماً أو شهراً. على أن الجزء الذي سيبقى مخفياً من حرب التوثيق والمعلومات والصورة، هو أن كثيراً من المجموعات أدّت المهمات الموكّلة إليها، ثمّ دوهمت بغارة جوية تسبّبت في استشهاد كامل أفرادها. لذا، فإن العدو وحده، الذي ذاق الباس، وعايش صهر الحديد، هو من يمتلك الرواية الكاملة، ويخفي بلا جدال الكثير من فصولها ومشاهدها التي ستحتاج إلى سنوات للكشف عنها.

> يقوم تكتيك «العقد القتالية» لدى المقاومة، على فكرة الكمون الطويل؛ إذ تتحصّن مجموعة بكامل عتادها في نقطة تتوسّط آليات العدو ودباباته في عمق مناطق التوغل البري، ليوم، أو أسبوع أو حتى شهر كامل، من دون أن يكون لدى أفرادها سوى سلاحهم وقليل من التمر، في غياب أيّ وسائل للتواصل التكنولوجي. هنا، ينتظرون الفرصة المناسبة للهجوم، وحينما تحين، يضربون ضربتهم ثمّ يعيدون الكمون، إلى حين أن عمليات المقاومة المفاجئة، يجري التخطيط لها غالباً خلال القتال، أي أن الكمائن والشراك، تُنفّذ فعلياً خلال تحليق طائرات الاستطلاع، وفي خضمّ القصف الجوي والمدفعي العنيف، ما يعني أن فُرص الوقاية من الوقوع في فخ التفجير والالتحام المباشر تبدو مستحيلة.

> باعصاب باردة، يدير المقاومون معاركهم مع اقوى الوية العدو

ويحقّ القول، إن ثمّة حرب استنزاف وعضّ أصابع متبادلة، هي التي تتحكّم بسلوك الميدان، حيث تحاول القوات البرية في جيش العدو، الوصول إلى إنجاز عمليّاتي يصنع صورة النصر التي يمكن أن يتوقّف عندها القتال، بينما تقاتل المقاومة بلحمها الحيّ، وتقضم المزيد من أيام الحرب، وتحاول مضاعفة الخسائر البشرية في صفوف الاحتلال، وصولاً إلى المرحلة التي تستهلك فيها الحرب نفسها، ويصبح استمرارها بلا معنى وبلا قيمة. وعلى الجانب الآخر من المشهد، يُواصل جيش العدو سلوك التدمير المنهج، حيث تُسوّى أحياء بأكملها يومياً بالأرض، فيما خرجت تماماً عن الخدمة، في منحى يراهن العدو على أنه سيصبح في ما بعد، ورقة ابتزاز على طاولة التفاوض من جهة، وأداة لصناعة بيئة طاردة تدفع السكان إلى خيار الهجرة الطوعية في فترة ما بعد الحرب، من جهة أخرى.

وحول العمليات البرّية داخل القطاع، نشرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» مقالاً لرون بن يشاي، رأى فيه أن «الحرب أمست في طابقين، أي فوق الأرض وتحتها»، مشيراً إلى أن هذه «الحرب المستحدثة» في التاريخ العسكري، تحتاج إلى أساليب جديدة وحذرة لمواجهتها. ويوضح بن يشاي أن «الطابق العلوي هو المنطقة المبنية فوق الأرض، والطابق السفلي هو مدينة الأنفاق والمنشآت القتالية التي بنتها حماس تحت الأرض على مدى 15 عاماً بأموال طائلة وبراعة عالية. معظم تشكيل الألوية الإسرائيلية يتدرّب منذ أشهر على هذه الحرب، وتحديداً في مدينة بئر السبع، حيث أقيمت مدينة تحت الأرض، وتمّ تدريب الجنود على القتال في الأنفاق والمباني المفخّخة، وهذا ما يفعله الجيش الآن في غزة».

إسرائيل تستقوي على العزّل: فلْتسبّوا «حماس»

سكان غزة تحوّلوا أخيراً إلى مادة لتعميم وجهة نظر واحدة على الجميع (أ ف ب)

لا يمكن لأحد أن يزعم أن ثمّة إجماعاً شعبياً في القطاع على عملية «طوفان الأقصى»؛ إذ إن غزة مجتمع بشري عادي، وليس أسطورة كما يعتقد البعض، وطبقاته المجتمعية متباينة في مدى حضور القيم الوطنية والدينية في حياتها، لا بل إن ثمّة طبقة كبيرة تُشغلها همومها الذاتية: التجارة، الأبناء، الأسرة الصغيرة، عن كلّ شيء آخر. وحينما تتعرّض تلك الكتلة البشرية المتباينة لضغط كبير كالذي تعايشه منذ ما يزيد عن 80 يوماً، من المنطقي أن تنتج من ذلك ردود فعل متباينة.

ثمّة من يرى، هنا، أن الثمن الذي دُفع في «طوفان الأقصى»، أكبر بكثير من الهدف السياسي والعملاني المأمول الذي يمكن تحقيقه، وهو ما يعبّر عنه البعض بالقول «حرقنا الغابة، من أجل أن نقلي بيضة». غير أن ثمّة طبقة كبيرة أيضاً تنظر إلى «طوفان الأقصى» على أنها معركة بداية زوال إسرائيل، أو على الأقلّ، معركة كسر العربدة الإسرائيلية في المنطقة. هؤلاء الذين يقرؤون المواجهة من وجهة نظر سياسية، يؤمنون بأن أيّ ثمن يُدفع في سبيل المقاومة، هو أمر مستحقّ، ويخفون كلّ ألم.

ما تقدّم، ليس سوى تأصيل لفهم المشهد الاجتماعي في القطاع، لأن سكان غزة تحوّلوا أخيراً إلى مادة لتعميم وجهة نظر واحدة على الجميع. تلتقط كاميرا واحدة من القنوات الصفراء، مواطناً ناقماً بسبب المقاومة وبعيد أصل البلاء إلى الضحية لا الجلاد، ثم تدفع آلاف الدولارات لتعميم رأيه وكأنه يعبّر عن الجميع. وأكثر من ذلك، تقوم قوات الاحتلال، في أبشع مستويات الإجرام والنازية، باعتقال المئات من المواطنين وتجريدهم من ملابسهم، ثم سؤالهم ورؤوسهم في مقابل فوهات البنادق، عن رأيهم في حركة «حماس» ويحيى السنوار. ما الذي يمكن أن يقوله أحد في مثل هذا الموقف العصيب؟

يوم أمس، نشر إعلام العدو مقطعاً مصوّراً يظهر فيه المئات من الشبان الذين اعتقلهم في مشروع بيت لاهيا قبل نحو أسبوعين من الآن. الإنجاز الكبير في المقطع، أن الشباب المجرّدين من ملابسهم، والمحاطين بعشرات البنادق، يسبّون المقاومة والسنوار، ويتهمونها بأنها أساس نكبتهم. لقد قدّرت المشيئة ان تلتقي بأحدهم، الذي أكد، لـ«الأخبار»، أن الجنود هدّدوهم بإطلاق الرصاص على أجسادهم، وأن دافع هذا التجاوب هو الخوف وغريزة البقاء. يقول الرجل: «بدا جنود العدو غاضبين حاقدين وشرسين جداً، أحسسنا أنه يكفي أن يستفزّهم واحد منّا، لكي يطلقوا الرصاص على الجميع».

ي. ف.

عندما يصبح الموت دفعة واحدة... أمنية

أنْ يَخرج الدود من داخل جسدك، أن ترى جزءاً منك يتعفّن، وتخرج منه رائحة كريهة وأنت على قيد الحياة... هي أبشع الأهوال التي لم تحضر في ذهن أحد، حتى في الكوابيس، فيما يعيشها اليوم الآف الجرحى، في انتظار الموت، بعدما خرجت كل المستشفيات في شمال القطاع عن العمل، وتوقّفت الطواقم الطبية عن تقديم أيّ نوع من الخدمات الاستشفائية، بسبب نفاد المستهلكات الطبية وأدوات تعقيم الجروح تماماً.

رشاد أبو زيدان، بات واحداً من هؤلاء، بعدما داهمه صاروخ من طائرة مسيرة أثناء توجّهه إلى بيته في مشروع بيت لاهيا، فأصيب بجروح متوسطة في قدمه وعينه ووجهه. حظي الشاب الثلاثيني، قبل حصار وتدمير مستشفى «كمال عدوان»، بجلسة طبية واحدة، أُجبر بعدها على ترك المستشفى؛ ذلك أنّ وضعه لم يكن خطيراً قياساً بالحالات التي تصل في كل لحظة. وانتهى به المطاف أخيراً في مركز إيواء مستشفى «اليمن السعيد»، إذ لم يجد طوال 20 يوماً مَن ينظّف له جرحه، أو يزيل ضمادته التي تحوّل لونها إلى الأسود لكثرة ما علق بها من أتربة وأوساخ. يقول، لـ«الأخبار»: «أرى الدود والعفن يخرج من جروحي يومياً، أقضي نهاري وليلي غارقاً في الصراخ والألم، أكتم ألمي كي لا أزعج مَن هم حولي من الأهالي».

أمّا الحاج السبعيني أبو عطا، فقد صادفته «الأخبار» هائماً في الشوارع على غير هدى، سائلاً عن طبيب يطبّب جرح نجله الوحيد، عطا، الذي أصيب قبل نحو شهر ونصف شهر من الآن، بجروح بليغة في بطنه. وبعدما استقرّت حالته جزئياً، أُخرج بأعجوبة من مستشفى «الإندونيسي» عشيّة حصاره. ومنذ ذلك الحين، لم يخضع لأيّ عملية تطهير أو مراجعة لجرحه. يقول الحاج، في حديثه إلى «الأخبار»: «تركته في المنزل، يخرج الدود من بطنه، ورائحة جرحه لا تطاق، وعدته بأن أعود له بطبيب أو ممرّض يطهّر له الجرح... ساعدوني».

على رصيف سوق مخيّم جباليا الجديد، الذي تحوّل إلى مقبرة تضمّ المئات من جثامين الشهداء، صادفنا أبو منير. لقد أدرك الرجل أخيراً، أنه كان مخطئاً حينما تمنّى لابنه الأصغر أن ينجو من الإصابة البليغة التي قاساها عقب استهداف منزل الجيران. أدرك بعد 40 يوماً، أن الاستشهاد سريعاً، كان خيراً له من المرور برحلة الموت البطيء، إذ تعفّنت جروحه، وأتى على جسده الدود، حتى استُشهد أخيراً بعد رحلة عذاب كانت أقسى على ذويه بألف مرّة من الموت الآني.

ي. ف.

(أ ف ب)

إسرائيل تستميت لأجل اتفاق تبادل

تستعد إسرائيل لوداع «عام نكبتها» بفعل ما تعرّضت له من ضربات قاسية منذ السابع من أكتوبر الماضي، ومن دون تحقيق أي ردود فعّالة على المقاومة، تسعى إسرائيل الغارقة في رمال غزة للحصول سريعاً على اتفاق مع حركة «حماس» لتحرير أسراها، فيما المقاومة تتمسك بأن لا تفاوض قبل وقف شامل للعدوان.

ووصل إلى القاهرة وفد قيادي من حركة «حماس» حاملاً «ردّ الفصائل الفلسطينية الذي يتضمّن ملاحظات عدة» على خطة مصرية من ثلاث مراحل، تنص على هدن قابلة للتمديد والإفراج التدريجي عن عشرات الإسرائيليين والمعتقلين الفلسطينيين. ونقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن مسؤول في الحركة قوله إن هذه الملاحظات تتعلق خصوصاً بـ«طرائق عمليات التبادل المرتقبة، وبعدد الفلسطينيين الذين سيُطلق سراحهم، وبالحصول على ضمانات من أجل انسحاب عسكري إسرائيلي كامل من قطاع غزة».

بالتزامن، كان لافتاً ما نشرته قناة «العربية» السعودية وأعاد موقع «واينت» نشره عن أن رئيس «حماس» في غزة، يحيى السنوار، «وافق على مقترح مصري - قطري لتبادل الأسرى يقضي بإطلاق سراح أسرى إسرائيليين وسجناء فلسطينيين وهدنة مدتها عشرون يوماً».

وبحسب مصدر فلسطيني في بيروت، فإن رد «حماس» هو ترجمة لتفاهمات جرت بينها وبين بقية القوى والفصائل الفلسطينية ويركّز على الوقف الشامل للعمليات العسكرية وضمان رفع الحصار لإعادة الإعمار إلى جانب المفاوضات على صفقة شاملة لتبادل الأسرى والمعتقلين.

وفي الموازاة، تستمر الولايات المتحدة، بحسب صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية، في الدفع نحو الانتقال إلى «المرحلة الثالثة» من القتال في قطاع غزة في أوائل كانون الثاني المقبل، على أن تستمرّ هذه المرحلة نحو أسبوعين. وفي المقابل، يريد الكيان الإسرائيلي أن تبدأ تلك الخطوة في منتصف الشهر المقبل، على أن تنتهي بنهاية الشهر نفسه. وفي هذا الإطار، سُجّلت مباحثات هاتفية، ليل الخميس - الجمعة، بين وزير الدفاع الأميركي، لويد أوستن، ووزير جيش العدو، يوآف غالانت، حول الانتقال إلى المرحلة المقبلة من الحرب، والتي ستتميّز بالعمليات المركّزة وانخفاض حدّة القتال.

ويستمر الضغط الشعبي الأميركي على إدارة الرئيس جو بايدن للتدخل بهدف وقف الحرب الهمجية الإسرائيلية على القطاع، حيث تظاهر الآلاف في وقت متأخر أول من أمس في مانهاتن بنيويورك وهم يطلقون شعارات «من النهر إلى البحر» و«إسرائيل لا يمكنك الاختباء، نحمّلك مسؤولية الإبادة» و«إسرائيل ماذا تقولين، كم طفلاً قتلتِ اليوم؟»، وأغلق المحتجون مناطق عدة في مانهاتن السفلى.

من جهتها، قدّمت دولة جنوب أفريقيا طلباً إلى «محكمة العدل الدولية» لبدء إجراءات ضدّ إسرائيل، لارتكابها «أعمال إبادة ضدّ الشعب الفلسطيني». وأكّدت جنوب أفريقيا أن «أفعال إسرائيل وأوجه تقصيرها تحمل طابع إبادة لأنها مصحوبة بالنية المحددة المطلوبة (...) لتدمير فلسطينيّي غزة كجزء من المجموعة القومية والعرقية والإثنية الأوسع، أي الفلسطينيين».

(الأخبار)

طوفان الأقصى

إسرائيل تهيّئ جمهورها للتنازل: بداية تحوّل

يحيى دبوق

تستعد إسرائيل للانتقال إلى المرحلة الثالثة من حربها على قطاع غزة، أي من العمليات العالية الكثافة إلى الأقل منها وتيرةً وحدّةً، الأمر الذي ينقلها والمقاومة إلى حرب عصابات قد تطول أو تقصر، وفقاً لاستجابة العدو نفسه للمتغيّر الميداني، في ما سيكون شبيهاً بواقع الحزام الأمني في جنوب لبنان في القرن الماضي، والذي انتهى بعد عناد الجيش الإسرائيلي طويلاً إلى الانسحاب وتعزيز قوة «حزب الله» بما لا يقاس بما كانت عليه سابقاً. على أن اللافت

> يبدو لافتاً خروج كتابات في الإعلام العبري، عن السياق العام الذي يحكم الرواية العبرية شبه الموحّدة للحرب

في الأيام الماضية، كان تهيئة الجمهور الإسرائيلي للاستعداد للانتقال إلى هذه المرحلة، عبر خفض سقف توقعاته بما يتلاءم مع ما تحقّق إلى الآن، بينما معظم هذا الأخير يندرج في إطار إنجازات تكتيكية لم يرقَ أيّ منها، تقريباً، إلى مستوى الإنجاز الإستراتيجي، فضلاً عن الغايات التي وُضعت ابتداءً للحرب، وتبيّن أنها خيالية وغير قابلة للتحقّق.

وفي حين يضغط الرأي العام في العادة على صانع القرار في تل أبيب، في اتجاه مزيد من التعمّق في الحرب لتحقيق أهدافها، يبدو أن القيادة اليوم هي من تحاول توجيه الرأي العام وإعادة بلورة توقّعاته، وهو ما بدأ بالفعل العمل عليه عبر الإعلام - الأداة الطبّعة لديها -، لتهيئة الرأي العام للنزول عن شجرة التوقّعات العالية جداً، الأمر الذي أشارت استطلاعات الرأي، على اختلافها، إلى نجاحه. وإن كان لا يزال التغيّر بطيئاً في هذا السياق، فمن المقدّر له أن يصل إلى الحد الذي يسمح بإجراء تغييرات ميدانية.

ولعل خطاب رئيس الأركان، هرتسي هليفي، كان واضحاً في دلالاته في هذا الإطار؛ إذ قال: «ستستمر الحرب أشهراً أخرى، وإن كنا سنعمل بأساليب مختلفة. لا توجد حلول سحرية، ولا توجد طرق مختصرة، في التفكيك الشامل لمنظمة إرهابية»، في إشارة منه إلى حركة «حماس». ويحمل كلام هليفي إقراراً متعدّد الاتجاهات والمستويات، ويشكّل دلالة على توجهات الجيش الجديدة، وعنوانها: لن يُعلن وقف إطلاق النار، بل ستستمر الحرب لأشهر إضافية، بأساليب وتكتيكات مختلفة. كما أن الأهم في حديث رئيس الأركان، هو الاعتراف بأن العمليات الحالية، كما هي منذ أسابيع طويلة، عاجزة عن تحقيق الأهداف، وتحديداً تفكيك حركة «حماس». وفيما يُعد هليفي أحد أهم المؤثّرين على توقّعات الجمهور، تبيّن استطلاعات الرأي وكتابات المعلّقين المدفوعين من الجيش، والتي جاءت في أعقاب تصريحاته، خفض سقف التوقّعات العالية جداً، بالفعل.

مع ذلك، يبدو أن الانتقال من مرحلة إلى أخرى، تشمل انسحابات وإعادة تموضع دفاعي لتقليل الخسائر، سيكون طويلاً، كونه يتطلّب من الجيش تحقيق «إنجازات» تبرّر هذا الانتقال. هنا، تتكاثر الأسئلة والتحديات: ماذا عن الأسرى الإسرائيليين؟ وماذا عن مطالب «حماس» بأن تشمل أي صفقة تبادل مقبلة، وقفاً نهائياً لإطلاق النار؟ وماذا عن قادة حركة «حماس» الثلاثة: يحيى السنوار ومحمد الضيف ومروان عيسى؟ هل يمكن الانتقال من الحرب العالية الكثافة إلى الأدنى منها، من دون تصفية هؤلاء القادة أو أحدهم على الأقل؟ وفي المحصّلة، هل يمكن «بيع» صورة النجاح للجمهور الإسرائيلي من دون الإجابة عن هذه الأسئلة ميدانياً؟

على أن انتظار تحقيق إنجازات قبل الانتقال إلى المرحلة اللاحقة، لا يعني الانتظار إلى الأبد، خصوصاً أن «المزيد من الشيء نفسه» ليس وصفة سحرية من شأنها تغيير واقع الأمور وتبديل النتائج، بل هو يتحوّل مع الإنكار والمعاندة إلى عنصر إضرار تصعب معه أيّ معالجة لاحقة. وعلى هذه الخلفية، تسعى إسرائيل، وإن مع إنكار علني، لإبرام صفقة تبادل أسرى، من دون وقف دائم لإطلاق النار، وفي الحدّ الأقصى الممكن، مع هدنة طويلة نسبياً قياساً بما رافق صفقة التبادل الأولى، تحت إغواء إطلاق عدد كبير من الأسرى الفلسطينيين، والسماح بإدخال مزيد من المساعدة الإنسانية إلى قطاع غزة. وهذه الصفقة المأمولة هي التي تملي على الجيش الإسرائيلي الاستمرار في ضغطه الميداني، وليس فقط البحث عن إنجاز ما. إلا أن إسرائيل تواجه إصراراً فلسطينياً على أن يكون الاتفاق شاملاً، وأن يفضي إلى إنهاء كامل للحرب، مع حصانات وإعادة إعمار وغيرهما من المطالب، التي لا يجد الإسرائيلي قدرة على تلبيتها، شكلاً أو مضموناً.

إلا أن الوقت يضيق على الجيش الإسرائيلي، فيما إنهاء المرحلة الثانية، والذي يبدو أن توقيته ثابت إلى الآن في منتصف الشهر المقبل، لا يستقيم بلا صورة انتصار مطلوبة، بات مفتاحها، في الحد الأدنى من ناحية الأسرى، في يد «حماس»، بعد شبه اليأس من إمكانية الوصول إليهم عسكرياً، ما يدفع الحركة إلى التصلب في موقفها التفاوضي. كذلك، يثقل على إسرائيل «الدولة»، أن رأس الهرم السياسي معنيّ باستمرار الحرب، بمستوى ووتيرة عاليَين بمنعان تفكّك ائتلافه الحكومي، وبالنتيجة يضمنان استمرار حياته السياسية، المهدّدة في حال تحوّل الحرب إلى وتيرة منخفضة، تسمح بالمساءلات السياسية، بالانتهاء. أيضاً، ثمة تجاذب إسرائيلي - فلسطيني، وإسرائيلي - إسرائيلي، ومن وراء الكل واشنطن التي تضغط على تل أبيب لإنجاز المهمة ميدانياً، وفي الوقت نفسه بلورة أو القبول بمخارج سياسية لا يريدها بنيامين نتنياهو.

في خضمّ ذلك، يبدو لافتاً خروج كتابات في الإعلام العبري، عن السياق العام الذي يحكم الرواية العبرية شبه الموحّدة للحرب. وفي هذا الإطار، كتبت صحيفة «معاريف» الآتي: «رغبة الجيش الإسرائيلي في التأثير على صورة الإنجازات التي يحققها، أمام الجمهور في الداخل، مهمة للغاية، لكنّ هناك خطأ رفيعاً بين ذلك، والغطرسة»، فيما اعتبرت «هآرتس» أنّ «من الأفضل أن نأخذ بحذر شديد إحصاء جثث الإرهابيين، وهو ما تصرّ إسرائيل عليه لوصف نجاحاتها العسكرية. كل يوم، في تصريحات وتصريحات القادة الميدانيين، ترتفع تقديرات خسائر حماس. تتحدث التقديرات بالفعل عن حوالي 8000 إرهابي، ولكن في خلفية التقارير الاستخباراتية، يُذكر أن هذه التقديرات مبنية على مستوى متوسط من الثقة». بعبارة أخرى، من المحتمل أن يقع الجيش الإسرائيلي في فخّ المبالغة في التقدير، والذي عانى منه الجيش الأميركي في حرب «فيتنام». ولعل ما أشارت إليه الصحيفتان، ينبئ بما سيواجهه صانع القرار في تل أبيب، في حال قرّر الانتقال إلى المرحلة الثالثة من الحرب.

الوقت يضيق على الجيش الإسرائيلي، فيما إنهاء المرحلة الثانية لا يستقيم بلا صورة انتصار مطلوبة (أ ف ب)

اشتداد حرب الضفة: التغوّل الإسرائيلي لا يلجم الفدائيين

رام الله - **أحمد العيد**

نفذ جيش الاحتلال، أمس، عملية عسكرية في مخيم الفارعة، جنوب محافظة طوباس، استمرت لنحو 4 ساعات، بهدف ملاحقة عدد من المقاومين. وقالت مصادر محلّية، لـ«الأخبار»، إنّ القوات الخاصة الإسرائيلية تسلّلت، في ساعات الصباح الأولى، إلى المخيم، واحتلت منزلاً تقطنه مجموعة من النساء. ولدى اكتشاف تلك القوات أنّ مجموعة من المقاومين كانت متحصّنة داخل المنزل المقابل لها، اندفع عناصرها إلى داخل المخيم، حيث دارت اشتباكات مسلّحة عنيفة مع المقاومين، ما أسفر عن اعتقال 4 شبان، بعدما أصيب ثلاثة منهم بالرصاص الحيّ. وطبقاً للمصادر نفسها، وعلى إثر قصف المنزل الذي لجأ إليه المقاومون بقذائف «إنيرغا»، تمّ الاعتداء على أحد الشبان الذي تعرّض لإصابة في يده، وهو أنس سوالمة، داخل سيارة الإسعاف، واختطافه، فيما نُقل الشابان الآخران، اللذان أصيب أحدهما بصدره، والآخر في قدميه، إلى «مستشفى طوباس الحكومي» لتلقّي العلاج.

وخلال تصدّيهم لآليات الاحتلال، استخدم المقاومون عبوات ناسفة شديدة الانفجار، متسبّبين بتعطيل آلية واحدة على الأقل، ما اضطرّ جيش العدوّ إلى سحبها من المخيم. وفيما أسقطت المقاومة طائرتَين مسيّرتَين فوق المخيم، صادرت قوات الاحتلال إحدى المركبات، التي قال مواطنون إنها تعود إلى أحد المقاومين المطلوبين. وكان الجيش الإسرائيلي قد كثّف، في الأيام الماضية، عمليات اقتحامه الواسعة لمخيم الفارعة، الصغير نسبياً، ونفذ اغتيالات بالطائرات المسيّرة فيه، في محاولة لاحتواء حالة المقاومة المتصاعدة هناك مع انضمام العديد من الشبان إلى صفوفها، ما انعكس ارتفاعاً في عدد الشهداء إلى 12.

في غضون ذلك، سُجلت عمليتان فدائيتان، أسفرت إحداهما، بحسب وزارة الصحة الفلسطينية، عن استشهاد الشاب عمرو عبد الفتاح أبو حسين برصاص الاحتلال، عند مدخل وادي الشاجنة شرق مدينة دورا، جنوب الخليل. وبحسب ما أعلنه جيش العدو، فإن جنوده أطلقوا النار على المركبة التي كان يقودها الشاب، بعد قيام الأخير بعملية دهس أدت إلى إصابة 5 جنود، وُصفت حالة أحدهم بأنها «خطيرة». وعلى هذه الخلفية، فرضت القوات الإسرائيلية طوقاً في مكان وقوع العملية والمناطق المحيطة بها، فيما منع الجنود سيارات الإسعاف من الاقتراب، وأغلقوا الشوارع أمام الفلسطينيين. كما اقتحم جيش العدو وادي الشاجنة في مدينة حاجز مزموريا، قرب بيت لحم، حيث استشهد في المكان نفسه. وكان عليان، وهو ابن عم الشهيد بهاء عليان، قد وصل بسيارته إلى الحاجز، وطعن المجندة أولاً ثم حارس الأمن، قبل أن يطلق الجنود النار عليه، طبقاً للرواية الإسرائيلية.

> وقعت عمليتا بيت لحم والخليل في ذروة الاستنفار الأمني الإسرائيلي الذي تشهده الضفة

والتحق الفدائي بالمركبة التي كان يقودها الشاب، بعد قيام الأخير بعملية دهس أدت إلى إصابة 5 جنود، وُصفت حالة أحدهم بأنها «خطيرة». وعلى هذه الخلفية، فرضت القوات الإسرائيلية طوقاً في مكان وقوع العملية والمناطق المحيطة بها، فيما منع الجنود سيارات الإسعاف من الاقتراب، وأغلقوا الشوارع أمام الفلسطينيين. كما اقتحم جيش العدو وادي الشاجنة في مدينة دورا، واعتدى على الأهالي، مطلقاً الرصاص المطاطي وقنابل الغاز في اتّجاه المنازل والمحال التجارية. وجاءت عملية الدهس هذه بعد ساعات قليلة من إقدام الشاب أحمد عليان، من جبل المكبر، على طعن عنصر أمن ومجندة في وحدة «حرس الحدود» الشرطية عند محيطه وعدد من شوارعه، ونشرت قناصتها على سطوح العديد من المباني وعلى مداخله، وفي قرية دير أبو مشعل، شمال غرب رام الله، وعمدت إلى تفتيش المنازل واعتقال عدد كبير من المواطنين.

وفي القدس، مُنع المصلّون، أمس، من الوصول إلى المسجد الأقصى، وجرى الاعتداء عليهم وسط إجراءات عسكرية مشدّدة، فيما أصيب العشرات من المقدسيين بحالات اختناق، في حيّ وادي الجوز، بعد استهدافهم بالرصاص المعدني المغلّف بالمطاط، وقنابل الغاز السام المسيّل للدموع. كما عمدت قوات الاحتلال إلى رشّ المصلّين بالمياه الكيميائية العادمة، وسط تحوّل المدينة، وتحديداً البلدة القديمة، إلى ما يشبه ثكنة عسكرية، نُشرت في أزقّتها عشرات الحواجز الحديدية. ونتيجة لذلك، لم يتمكن سوى 12 ألف مصلٍّ، من الوصول إلى «الأقصى».

كذلك، اقتحمت قوات الاحتلال مخيم قلنديا، شمال القدس، حيث تصدّت المقاومة لها، وتمّ الإبلاغ عن إصابة مواطن. وشملت عمليات الاقتحام أيضاً أحياء وقرى عدّة في محافظتَي رام الله والخليل وأريحا.

عمدت قوات الاحتلال إلى ردْم المصليين في «الأقصى» بالمياه العادمة (أ ف ب)

علامات فارقة في «طوفان الأقصى» فلسطين تفرض وقْعها

حسين إبراهيم

لا يزال ما جرى في قطاع غزة في السابع من أكتوبر، وكذلك ما يحصل منذ ذلك الحين، يحتاج إلى كثير من التفسير، الذي قد يتعيّن انتظار التحقيقات التي يجريها العدو، لتسليط بعض الضوء عليه، باعتبار أن المقاومة ليست معنيّة بكشف أوراقها أمام العدو، ولا حتى الصديق. لكن تلك القدرة على الإدهاش المستمر مدّأل، تمثّل تطوراً نوعياً في أداء المقاومة طوال تاريخها، بما فيه التاريخ القريب جداً، والخاص بالفصائل نفسها، أي معركة «سيف القدس» في أيار عام 2021، والتي لم تخرج عن الأداء العام الذي نعرفه للمقاومة ضدّ إسرائيل، في ساحاتها المختلفة، وهو قتال كان في الأصل متميزاً عن القتال في أيّ من الحروب الأخرى، باعتباره من أجل قضية واضحة العدالة، بالمقارنة مع غيرها من القضايا.

الأنفاق التي اكتشف العدو النزر اليسير منها بعد أكثر من عشرة أسابيع على القتال، تفسّر جزئياً الأداء المريح للمقاتلين، لأنها توفّر قدراً كبيراً من الحماية، وتتيح مرونة في الحركة لدى هؤلاء الذين يخرجون منها لتنفيذ ضربات ضدّ أهداف محدّدة، ثمّ يعودون إليها. ولكن الصور التي وزّعها الاحتلال لما اكتشفه منها، تزيد الحيرة، لتصبح تلك الأنفاق هي نفسها بحاجة إلى تفسير: كيف أمكن لمقاومة محدودة الإمكانات في قطاع من بضعة مئات من الكيلومترات المربعة، محاصر منذ غادره الاحتلال عام 2005، بناء مثل هذه الشبكة التي يسمّيها العدو «مترو غزة»، ويقول بعض الخبراء إنها أكبر من شبكة «مترو أنفاق لندن»، من دون أن يمتلك أيّ فكرة عن خرائطها، رغم شبكة العملاء التي يمتلكها في كلّ مكان؟

الحرب البربرية على القطاع، تفسّر جانباً آخر من شراسة المقاومين، لأنها تدفعهم إلى الرغبة في الانتقام لما يحصل لذويهم وأقاربهم على يد جيش الاحتلال. كما أن تخييرهم من قِبل الأخير بين الاستسلام والموت، يُلزمهم بالبحث عن خيار ثالث، فيه حياة لهم ولشعبهم، عبر القتال حتى النهاية لصدّ العدو، وفرض الانسحاب من القطاع عليه، وإطلاق سراح كلّ الأسرى في سجونه. تمكّن هؤلاء المقاتلون القلّة من تغيير الكثير على مستوى العالم منذ عملية «طوفان الأقصى»، فيما قوى الغرب التي تغطّي الطمع الإسرائيلي في إلحاق هزيمة كاملة بالمقاومة، وتزايد عليه، لا تستطيع مداراة فضيحتها المزدوجة أمام رأيها العام الذي انتفض انتصاراً للمظلومين في غزة، مرّة عبر العجز عن تبرير وحشية إسرائيل التي تُرتكب باسم التحالف الغربي كلّه بحقّ أطفال ونساء، وبالأسلحة الفتاكة الواردة أخيراً من الولايات المتحدة وغيرها، ومرّة أخرى عبر فشل هذه الآلة العسكرية في إلحاق هزيمة بهؤلاء المقاتلين أو تحقيق أيّ أهداف من تلك التي رفعتها في بداية الحرب.

ما يشهده العالم من موجة تعاطف مع القضية الفلسطينية، لا ينطلق فقط من عدالة تلك القضية، وإنّما من تقاطع ذلك مع فهم أكبر لدى الرأي العام العالمي لطبيعة النظام الغربي

> موجة التعاطف مع فلسطين تقاطعت مع فهم أكبر لدى الرأي العام العالمي لطبيعة النظام الغربي المتوحّش

المتوحّش، الذي يعتاش على الحروب والأزمات، بخاصة لدى الأجيال الشابة، التي كانت قد ضيّقت الحرب الدائرة في أوكرانيا وما رافقها من أزمة غلاء عالمي، سبل العيش عليها. وحتى وإن كانت الولايات المتحدة قد استطاعت أن تقنع الرأي العام في الغرب إلى حدّ كبير، بأن حرب أوكرانيا هي حرب دفاع عن «منظومة القيم» التي يحتَبى الغرب خبثه خلفها، وعن رفاه هذا الجزء من العالم، وهو رفاه قائم على نهب ثروات الآخرين، إلّا أنّ الفشل فيها أدى إلى نتيجة عكسية، إذ وجد الإنسان الغربي نفسه في وسط المعاناة، مقابل لا شيء.

وما زال الصراع الذي كان قائماً منذ عشرات السنين بين الغرب وباقي العالم قائماً، ولكن نوع التصدّي يختلف. في الماضي، أدى ذلك إلى قيام ثورات أو انقلابات عسكرية في عشرات الدول باسم العداء للإمبريالية. والآن، ثمّة موجة عالمية للمطالبة بالعدالة. ولأن القضية الفلسطينية هي الأكثر عدالة في العالم، اليوم كما بالأمس، فإنها تحوّلت إلى قبلة لرافضي الظلم في المعمورة كلّها. وإذا جاز الحديث عن رموز للتعبير عن تلك الموجة العالمية، فسيحتلّ علم فلسطين والكوفية المرتبة الأولى. والواقع أن القتال الفلسطيني الذي نشهده اليوم يؤثّر ويتأثر بما يجري في العالم؛ فهو يستلهم روح التمرّد السائدة ضدّ الحكومات الغربية، الحليفة لإسرائيل، ذات الحروب التي لا تنتهي، ولكنه في الوقت نفسه يُلهم، إلى جانب مشاهد الأشلاء والدمار، احتجاجاً تحتّمه الطبيعة الإنسانية على بربرية تعصى على التفسير، يشارك فيها الساسة في الدول المُشار إليها. وربّما كان التأثر بالمناخ العالمي واحداً من أهم الأسباب التي تحفّز القتال العالي الأداء في غزة، أو هو على الأقلّ المتغيّر الأهم عن حروب المقاومة السابقة التي عرفناها ضدّ العدو.

ثمة متغيّر آخر مهم، هو أن حرب تحرير فلسطين، بعد «طوفان الأقصى»، تجري على الأرض الفلسطينية، حيث لا يستطيع حتى من لا يحبّون المقاومة الوقوف في وجهها علناً، أو اتّهامها بالانحراف عن أهدافها للحصول على سلطة هنا أو مغانم هناك. أمّا المتغيّر الثالث، فيتعلّق بالتمرّس، إذ استفادت المقاومة من تراكم تجارب عمرها عشرات السنين لكلّ حركات المقاومة ضد إسرائيل، ومن تحالفات استطاعت عبرها الحصول على أسلحة وإمكانات ما كانت لتمتلكها لولاها. لكلّ ذلك مجتمعاً، عادت فلسطين إلى الوجدان في العالم بشكل لم تكنه من قبل أبداً، فلم يسبق أن كانت قضية ساخنة في «هوليوود» مثلاً مثلما هي اليوم، ولم يسبق أن كانت لها أغانٍ عالمية، كما في حالة الأغنية السويدية «تحيا فلسطين» التي ألّهبت حماسة الملايين في أنحاء العالم، أو الأغنية الريفية الجميلة «اسمي فلسطين» للمغني البريطاني، غارث هيوبت.

بالنسبة إلى الفلسطينيين والعرب، يمثّل الأمر خليطاً بين روح الثورة لدى الجيل الجديد من المقاتلين والحنين لدى قدامى المقاومين. استعاد كثيرون أغاني وأناشيد الثورة الفلسطينية التي ظنّوا أن وهجها خبا مع تراجع القضية الفلسطينية، ودفعهم الياس إلى نسيان مفرداتها. هذه الحرب أعادت الشعوب العربية التي مزّقتها الحروب إلى التحدث بلغة واحدة، بعدما فرّقهم التآمر. ولذا، فإن ما حصل في 7 أكتوبر كان يوماً أسود لا لإسرائيل وحدها، وإنما للصهيونية العالمية والساسة المتآمرين معها في العالم وعندنا.

الحرب البربرية على القطاع تفسّر جانباً آخر من شراسة المقاومين

طوفان الأقصى

مرتزقة إسرائيل الوجه البشع لـ«صهيونية الأغيار»

إيطاليون وفرنسيون و«مارينز»... والقائمة تطول

على وقع رواج سلسلة مقاطع مصوّرة تبيّن مشاركة أفراد من دول غربية في الحرب، من بينهم إيطالي علّق علم بلاده على بزته العسكرية، وفرنسيّان تحدّثا أمام الشاشة من داخل غزة بلغتهما الأم وهما يحملان ذخائر تعود إلى الجيش الإسرائيلي، وذلك ضمن مشهد شبيه بآخر ظهر فيه أحد المواطنين الأميركيين أمام حشد من جنود الاحتلال، جاء ما كشفته صحيفة «الموندو» أخيراً من أن الجانب الإسرائيلي استقطب ما سمّته «جيشاً صغيراً» من المرتزقة عبر شركات عسكرية خاصة، متعاقد معها، على غرار «ريفن» و«غلوبال سي إس تي». وأوردت الصحيفة الإسبانية إفادة أحد هؤلاء، ويدعى بيدرو دياز فلوريس كورالييس، وتأكيده الانتقال من ساحات المعارك في أوكرانيا إلى الأراضي المحتلّة لغايات مادية بحتة، ولأسباب تتّصل بالمخاطر المتزايدة هناك. وأوضح كورالييس أن ما يتقاضاه أسبوعياً لا يقلّ عن 3900 يورو، في موازاة تعويضات إضافية أخرى يحصل عليها المرتزقة لقاء عملهم في صفوف الجيش الإسرائيلي، ولا سيما في حال اختاروا المشاركة في العملية البرية في غزة، مضيفاً أن الإسرائيليين «يدفعون جيداً جداً، ويقدّمون معدات جيدة، فيما العمل هنا هادئ».

وزعم كورالييس، وهو جندي سابق في الجيش الإسباني كان قد شارك في حرب العراق، إضافة إلى انضوائه لاحقاً في عداد ما يسمّى «الفيلق الدولي» في أوكرانيا، أن مهماته، إلى جانب زملائه الآخرين من المرتزقة، مرتبطة بتقديم دعم غير مباشر للحرب على غزة، مضيفاً أن بعضاً من تلك المهمات تشمل تقديم الدعم الأمني لقوافل الجيش في مناطق القطاع، وتأمين الحماية لعدد من نقاط التفتيش الإسرائيلية سواء في غزة أو الجولان المحتلّ، أو على الحدود الأردنية - الفلسطينية. وأشارت الصحيفة الإسبانية إلى وجود عسكريين سابقين في قوات النخبة لدى جيوش غربية في صفوف المرتزقة، من بينهم فرنسيون شاركوا في حرب مالي، وكذلك أميركيون وألمان لهم خبرات ميدانية سابقة، ولا سيما في أفغانستان، موضحةً أن هؤلاء العناصر باتوا أقرب ما يكون إلى جيش صغير ينتقل من حرب إلى أخرى، ضمن مهمات تتنوّع بين المشاركة المباشرة في القتال، أو تقديم الدعم والإسناد التكتيكي.

فيما يهيمن العامل المادي على دوافع المرتزقة المحترفين، يشكّل البعد العقائدي المتّصل بالأفكار الصهيونية، جوهر حوافز الجنود المنفردين (أ ف ب)

خضر خروبي

لا يبدو العدوان على قطاع غزة استثناءً من سلسلة «حروب الارتزاق» التي أدارها الغرب في العقدين الماضيَين، بدءاً بحرب أفغانستان، ثم حروب العراق، واليمن، وأخيراً غزة. وليس سرّاً أن كيان الاحتلال، الذي يبدو أصلاً أشبه بمشروع «ماكرو ارتزاق» لمصلحة الغرب، استعان بالمرتزقة في مراحله «الجنينية» الأولى، لشنّ حروبه ضدّ العرب. حتى أن بعض جيشه في تلك المرحلة، كسلاح الجو، كان لا يزال يعتمد اللغة الإنكليزية، وليس العبرية، لأن كثيراً من كوادره كانوا من المرتزقة، وجلّهم من غير اليهود. وعلى مرّ السنوات، ومع توالي الحروب العربية - الإسرائيلية، تواصلت استعانة الجيش الإسرائيلي بالمرتزقة، كما حدث في 1967، فيما تطوّرت وبدأت تأخذ أشكالاً متعدّدة في السنوات الأخيرة.

جنود منفردون ومرتزقة محترفون

بحسب خبراء عسكريين، فإن المرتزقة الأجانب العاملين في صفوف الجيش الإسرائيلي، والذين تحاط مشاركتهم عادة بالسرّية بقصد التغطية على خسائر الجيش، يمكن توزيعهم على خانتَين رئيسيَتَين: المرتزقة المحترفون الذين يملكون خبرات عسكرية خاصة جرّاء مشاركتهم في حروب سابقة؛ والمتطوّعون غير الإسرائيليين الذي ينضمون إلى برنامج خاص رسمي، متعارف عليه بـ«برنامج الجندي المنفرد»، علماً أن غالبية هؤلاء قادمون من دول مختلفة ذات جاليات يهودية وازنة، كروسيا، والولايات المتحدة، وبريطانيا حيث تتولّى منظمات، في طليعتها «ماحل» ذائعة الصيت، القيام بحملات تجنيد لحساب الجيش الإسرائيلي. كما أنّ غالبية المتطوّعين من اليهود، أو من الأفراد المحسوبين على تيار «الصهيونية المسيحية»، وهم يحضرون إلى إسرائيل من دون عائلاتهم، بهدف الانخراط في صفوف الجيش مقابل رواتب مغرية، إضافة إلى إعفاءات ضريبية، ومساعدات اجتماعية ومِنح مالية مختلفة تشمل السكن، والسفر، والزواج، وجوانب أخرى.

وفي هذا السياق، يشير تقرير صادر عن وحدة البحث والمعلومات في «الكنيست»، إلى أنّ متوسّط العدد السنوي لـ«الجنود المنفردين» (فئة مختلفة عن الجنود المزدوجي الجنسية) في المدة ما بين 2002 و2012، ناهز 5500، علماً أن المصنّفين ضمن تلك الفئة، والذين غالباً ما يُزجّ بهم في الخطوط الأمامية ونقاط الاشتباك الأكثر ضراوة، يحظون بامتيازات إضافية مقارنة بالعنصر العادي في الجيش، وتحديداً لجهة الحوافز المالية الممنوحة لهم، أو نوع التدريبات المكثّفة التي يخضعون لها. كذلك، وبالاستناد إلى إحصاءات وزارة الأمن الإسرائيلية، يُقدّر عدد العاملين في صفوف الجيش وفقاً لبرنامج «الجندي المنفرد»، أو الذين يشاركون بكثافة في العمليات العسكرية الدائرة في غزة، بنحو 6 آلاف، لا تتجاوز نسبة اليهود منهم الـ20%، فيما تشير تقديرات أخرى إلى أن عدد الأجانب يقارب 4600 فرد، ضمن معدل سنوي يراوح ما بين 800 وألف عنصر من خارج الكيان. وفي حين يهيمن العامل المادي على دوافع المرتزقة المحترفين، يشكّل البعد العقائدي المتّصل بالأفكار الصهيونية، جوهر حوافز الجنود المنفردين.

> يُقدّر عدد العاملين في صفوف الجيش وفقاً لبرنامج «الجندي المنفرد» بنحو 6 آلاف

ورغم اشتداد الرقابة العسكرية الإسرائيلية، ولا سيما في الشقّ المتعلّق بمدى الاستعانة بالمرتزقة، أكدت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن نسبة ملحوظة من آلاف المهاجرين الجدد إلى الأراضي المحتلّة، وبصورة خاصة القادمين من أوكرانيا وروسيا، وتحديداً مَن يمتلكون قدرات عسكرية خاصة من بينهم، عمدت، في العامَين الماضيَين، إلى الالتحاق بصفوف الجيش. ولفتت إلى أن المئات من الجنود الأوكرانيين الذين قدموا إلى الأراضي المحتلّة لتلقّي العلاج والتأهيل، لم يعودوا إلى بلادهم، بل انخرطوا في العمليات الجارية في قطاع غرة، ضمن فرق المرتزقة، فضلاً عن عشرات الآلاف من المهاجرين الروس من الحاصلين على الجنسية الإسرائيلية، والذين ما زالوا يخدمون في جيش الاحتلال في سياق الخدمة المدنية وضمن قوات الاحتياط. ومن بين جملة الشواهد على تلك المعطيات، ما جرى تداوله أخيراً من مقاطع فيديو وثّقت مشاركة مرتزقة أوكرانيين في العدوان، حيث أفيد، في الأسابيع الماضية، عن سقوط 7 منهم في معارك مع فصائل المقاومة في الشجاعية. ووفقاً لتقارير إعلامية، فإن المرتزقة الأوكرانية لدى جيش الاحتلال، إلينا زاكو سيلا، التي اشتهرت لتباهيها أمام وسائل الإعلام بقتلها أطفالاً فلسطينيين، انتقلت رفقة العشرات من مواطنيها عقب عملية «طوفان الأقصى» إلى فلسطين المحتلّة للقتال إلى جانب الإسرائيليين. ولم يكن مستغرباً في هذا السياق، ما جاء على لسان الناطق باسم الخارجية الأوكرانية، أوليغ نيكولنكو، من نفي إرسال كييف أيّ قوات إلى غزة.

استنكار ومطالبات بالمحاكمة

إزاء ذلك، دعا النائب في البرلمان الفرنسي، توماس بورتس، حكومة بلاده إلى معاقبة مواطنيها، بمن فيهم حاملو الجنسية الإسرائيلية، الذين يثبت اشتراكهم في القتال داخل غزة، وارتكاب جرائم حرب بحق الفلسطينيين هناك (بتهم تراوح عقوبتها، وفقاً للقوانين الفرنسية، بين 7 و30 عاماً، أو حتى سحب الجنسية، في حال ثبوت ضلوعهم في «أعمال إرهابية»)، مؤكداً أن عدد هؤلاء يقارب الأربعة آلاف. ومن جهتها، حذّرت وزارة خارجية جنوب أفريقيا، في بيان، مواطنيها من مغبّة الالتحاق بركب الحملة العسكرية على القطاع الفلسطيني المحاصَر، تحت طائلة تعرّضهم للمحاكمة وسحب الجنسية الجنوب أفريقية منهم. وعلى أيّ حال، يرى محلّلون أن الفصول المتلاحقة من حرب غزة، تُظهر مدى هشاشة نظرية «الأمن القومي الإسرائيلي»، وفقاً لما يدلّ عليه، من بين أشياء عديدة، لجوء إسرائيل إلى خدمات هؤلاء المرتزقة، رغم تحشيدها حوالى 350 ألف عنصر من احتياط الجيش، المقدّر تعداد قواته النظامية الفاعلة بقرابة 200 ألف.

المستشفيات النفسية الإسرائيلية تستغيث لإعلان «الطوارئ» الآن

بيروت حمود

غداة إعلان وزارة الصحة الإسرائيلية قرارها إضافةَ أسرّة إلى أقسام المستشفيات العمومية، وأخرى مثلها إلى مستشفيات الصحة النفسية، بعث عشرة من مديري هذه الأخيرة، رسالةً طارئة إلى مراقب الدولة، متنياهو انغلمان، يطالبونه فيها بإعلان «حالة طوارئ» لمواجهة الوضع الخطير الذي تشهده منظومة الصحة النفسية. وجاءت الرسالة في أعقاب سنوات من الأخطاء، والإهمال، وفي ظلّ النقص في التمويل والقوى العاملة في المراكز ذات الصلة، وهو وضع فاقمته الحرب المندلعة في قطاع غزة منذ حوالى الثلاثة أشهر. ووفقاً لما أورده موقع «واينت»، فإن الرسالة أتت أيضاً بعدما فكّر المديرون في تقديم استقالتهم في وقت سابق، قبل أن يعودوا عن القرار. وكتب هؤلاء، ومن بينهم مدير مستشفى «مرحفيم»، البروفيسور حيليل ليبكوفيتش، ومدير مستشفى «ليف هشارون»، البرفيسور شموئيل هيرشمان، ومدير مستشفى «أفرابانيل»، يوفال ميلمد، إلى مراقب الدولة: «نتوجّه إليك بصرختنا اليائسة بسبب الوضع الصعب الذي تعانيه منظومة الصحة النفسية في إسرائيل»، معتبرين أن «المنظومة الصحية تقف على شفا الانهيار».

وبحسب موقع «واينت»، أصدر مراقب الدولة، منذ أيار 2020، تقريراً «خطيراً» تناول فيه وضع هذه المنظومة في السنوات الخمس السابقة، أي منذ بدء تنفيذ القرارات المتعلّقة بالصحة النفسية، والتي في إطارها نُقل الجزء الأكبر من علاج المرضى النفسيين إلى عيادات «كوبات حوليم» (صندوق المرضى). وقد حذّر المراقب، في وقت سابق، من الانحدار التدريجي في مجالات الصحة النفسية في العقد الأخير، خصوصاً بعدما بدأت البيانات تُظهر تراجعاً في تلك المجالات كافة، وبينها الوقت المنتظَر للحصول على موعد لتلقّي العلاج (يستغرق أحياناً سنة أو أكثر)، وانخفاض أعداد أطباء الصحة النفسية بشكل حادّ، في موازاة الإهمال الكبير الذي يتعرّض له القطاع العام لصلحة القطاع الخاص، فضلاً عن النقص الخطير في طواقم التشافي وتراجع المعايير في المستشفيات القائمة، والنقص في القوى العاملة، والذي يُعدّ أحد الأسباب المركزية للوضع القائم. والجدير ذكره، هنا، أن وزارة الصحة تقرّ بأنه لا يوجد عدد كافٍ من العاملين للاهتمام بكلّ طالبي الحصول على علاج نفسي.

وبالعودة إلى رسالة المديرين، لفت هؤلاء إلى أنه بالإضافة إلى الزيادة الحادّة في الاحتياجات منذ آزمة «كورونا»، أدى هجوم السابع من تشرين الأول إلى وجود 300 ألف إسرائيلي إضافي يحتاجون إلى علاج نفسي مموّل (من الدولة)، وما سبق، وفقاً للرسالة، «هو عدد لا يشمل المقاتلين الذين يحتاجون إلى علاج نفسي من جرّاء الصدمات التي تعرّضوا لها، أو سيعانون منها بسبب الحرب». وقالوا: «نلحظ زيادة بعشرات النسب المئوية في طلبات خدمات الصحة النفسية، النتائج قاسية ومقلقة، فهناك ارتفاع في معدلات الإصابة بالأمراض العقلية، وحالات الانتحار، ومصابون يتلقّون العلاج في الطوارئ في ظروف لا إنسانية». ومع ذلك، تصرّ وزارة الصحة الإسرائيلية على أنه «لم يطرأ ارتفاع على معدلات الانتحار». في المقابل، قال المديرون: «نحن أمام واقع من العجز التام، غير قادرين على تقديم الاستجابة المناسبة للاحتياجات العاجلة، نشعر بالحزن في مواجهة المعاناة الإنسانية التي نشهدها كلّ يوم. من فضلك، استخدم قوّتك وسلطتك كمراقب دولة من أجل إنقاذ الصحة النفسية لمواطني إسرائيل. لقد حان الوقت لإعلان حالة الطوارئ الوطنية وتخصيص الموارد بشكل عاجل بما يتلاءم مع الواقع». وردّاً على ادّعاءات وزارة الصحة في شأن عدم ارتفاع معدلات الانتحار، وقرارها زيادة 1700 سرير لمستشفيات عامة بينها 245 سريراً لمستشفيات الصحة النفسية، نقل موقع «واينت» عن أحد مديري المستشفيات قوله: «مجدداً، تنشر وزارة الصحة الأكاذيب والأوهام المنفصلة عن الواقع».

المقاومة العراقية تصعد: إلى «المتوسط» وما بعده

بغداد - فقار فاضل

مع تأكيد رئيس الحكومة العراقية، محمد شياع السوداني، أنّ بلاده ماضية في اتجاه إنهاء الوجود لقوات «التحالف الدولي» على أراضيها، تكون المقاومة التي وسّعت استهدافاتها لتتجاوز القواعد الأميركية في سوريا والعراق، ردّاً على دعم واشنطن للعدوان على غزة، قد اقتربت، نظرياً، من تحقيق الهدف الذي حدّدته بطرد القوات الأميركية من البلاد.

وكان السوداني قد أكد، أول من أمس، في مؤتمر صحافي مشترك مع نظيره الإسباني، بيدرو سانشيز، في بغداد، أنه تطرق بشكل مفصّل مع ضيفه إلى وضع «التحالف الدولي» بقيادة الولايات المتحدة، مشيراً إلى أن «الحكومة العراقية في طور إعادة الترتيب للعلاقة في ظلّ قوات عراقية متماسكة». سيما وأن السوداني كان احتجّ على قصف الأميركيين لمواقع تخصّ فصائل المقاومة و«الحشد الشعبي» ما تسبب بسقوط شهداء وإثار موجة استياء بين العراقيين.

وفي تطوّر جديد لعمليات المقاومة الإسلامية، قصفت «الأخبار»، أن «ضرباتنا ستكون أقسى على العدو الأميركي والإسرائيلي، وكلّ المصالح والمنشآت والمواقع الصهيونية، سواء أكانت في البحر المتوسط أم الجولان أم في أربيل التي تمتلك إسرائيل فيها مواقع تجسّسية، شخّصناها، وسيرى العالم أجمع نيران صواريخنا تحرقها قريباً». ويضيف أن «تحولنا إلى استهداف أماكن حيوية، وقصف إيلات والحقول الغازية، يأتي ضمن إستراتيجية لا تقتصر فقط على المقاومة في العراق، بل تشمل المقاومة في لبنان واليمن وفلسطين، وذلك جراء الجرائم التي يرتكبها الاحتلال عموم المنطقة الإقليمية. وأعلنت المقاومة العراقية، في اليومين الماضيين، عن قصفها «مركز للتجسّس الفني تابع للكيان الصهيوني» شمال شرق أربيل، واستهداف قواعد الاحتلال الأميركي في كل من «كونيكو» و«الشدادي» و«خراب الجير»، برشقات صاروخية، وأكّدت أن الضربات الأربع حقّقت إصابات مباشرة. كما أعلنت المقاومة قصف «هدف حيوي في أراضينا المحتلة إلى الجنوب بالأسلحة المناسبة»، ولم تكشف عن طبيعة هذا الهدف.

> المقاومة تهدّد بضربات أقسى ضد الأميركيين والإسرائيليين، سواء في البحر المتوسط أم الجولان أم أربيل

ويؤكد مصدر في المقاومة الإسلامية، لـ«الأخبار»، أن «ضرباتنا ستكون أقسى على العدو الأميركي والإسرائيلي، وكلّ المصالح والمنشآت في الهجمات، بل تشارك على أرض الواقع وعن طريق الجولان المحتل». ويبيّن، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «استهداف قصائل المقاومة للأميركيين، يعود بالدرجة الأولى إلى أنهم محتلّون لأرض العراق وداعمون للكيان الصهيوني الذي يقتل الفلسطينيين بدم بارد. ولهذا، توزّعت أدوار المجاهدين على عدة مهمات، منها إزعاج العدو وإرباكه وبثّ الرعب في صفوف جنوده، وكذلك توجيه ضربات مباشرة إلى أراضي منطقة إيلات المحتلة وغيرها. وقد تكون ثمة أهداف أخرى أيضاً». ويتابع أنّ «غرفة عمليات المقاومة لديها إحداثيات كاملة عن تحركات الأميركيين ومساعدتهم للإسرائيليين. وهذا ما ساعدنا في إنجاح هجماتنا وإيقاع إصابات في صفوف المحتل»، لافتاً إلى أن «الأميركيين يكذبون في أرقام جنودهم الذين قُتلوا وأصيبوا بصواريخ المقاومة، بخاصة الأخيرة، في سوريا وقاعدة الحرير».

أما الخبير الأمني، مخلد حازم، فيرى أن «هناك قواعد جديدة للاشتباك دخلت على خط الأزمة، بخاصة توسيع دائرة الضربات لتستهدف مواقع حيوية، وأن قرار إستهداف البحر الأحمر يأتي ضمن إستراتيجية وحدة الساحات لكلّ محور المقاومة». ويشير إلى أن «المقاومة بدأت تستخدم صواريخ بالبسنية بعيدة المدى بعدما كانت تستخدم صواريخ الكاتيوشا قصيرة المدى. ومن المؤكد أن هذا يُعتبر بالنسبة إلى الجانب الأميركي تطوراً في نوع السلاح».

الشركات تستجيب لصنعاء لا لواشنطن: «لا علاقة لنا بإسرائيل»

صنعاء - رشيد الحداد

في الوقت الذي شدّدت فيه صنعاء إجراءاتها في البحر الأحمر، وكثّفت دورياتها البحرية على امتداد المياه الإقليمية والدولية قبالة سواحل الحديدة وباب المندب، عادت القوات البحرية الأميركية إلى استفزازها عبر مطالبة السفن التجارية بالتوقف جنوب البحر والمرور بشكل قوافل، محاولةً أن تفرض نفسها شرطي مرور على الخطوط الملاحية، وهو ما تراقبه القوات اليمنية، وتدعو السفن التجارية إزاءه إلى عدم الامتثال لأي قوات أخرى. وفي ما يعكس فشل التحالف البحري الأميركي المسمى «حارس الازدهار»، تزايد امتثال عدد من السفن الأجنبية لتوجيهات قوات صنعاء، بحيث رفعت لافتات نفت فيها أي علاقة لها بإسرائيل، بالإضافة إلى إبقائها أجهزة التعارف الخاصة بها مفتوحة أثناء مرورها في البحر الأحمر.

كذلك، يؤكد مصدر حكومي في صنعاء، لـ«الأخبار»، أن عدة شركات ملاحية تواصلت مع وزارة النقل في حكومته، وبيّنت عدم علاقتها بإسرائيل، وسلامة وضع بعض السفن التي كانت مملوكة لشركة «زايم» الإسرائيلية قبل أن تنتقل ملكيتها إليها. وفي هذا الإطار، أضافت ناقلة الحاويات «Xin He Lu» التي ترفع علم بنما، شعار «لا علاقة لنا بإسرائيل» على متنها، قبيل مرورها من الممر الملاحي الدولي في البحر الأحمر. أيضاً، تقول مصادر ملاحية، لـ«الأخبار»، إن «سفناً أخرى أبلغت البحرية اليمنية بعدم علاقتها بإسرائيل، ومرّت بشكل سلس وآمن» خلال الساعات الـ48 الماضية، مشيرة إلى أن ثمة شركات من تلك التي تواصلت مع صنعاء أكدت وقف كل تعاملاتها مع إسرائيل، ورغبتها في العودة للإبحار عبر البحر الأحمر، وهو ما أزعج تحالف «حارس الازدهار»، الذي وجد نفسه معنياً بحماية السفن الإسرائيلية دون غيرها. وترى المصادر أن استئناف العديد من الشركات الإبحار عبر البحر الأحمر سوف ينعكس بشكل إيجابي على الحركة الملاحية في قناة السويس وفي موانئ الدول المشاطئة للبحر الأحمر ومنها ميناء جيبوتي، فضلاً عن انخفاض رسوم الشحن الدولي التي ارتفعت بنسبة متفاوتة جراء تعليق عدد من الشركات الملاحية الدولية العبور عبر البحر الأحمر، بسبب المخاوف التي روّجت لها الولايات المتحدة وبريطانيا خلال الأسبوعين الماضيين.

في المقابل، وفقاً لوكالة «رويترز»، فإن حلفاء واشنطن الرئيسيين بدأوا بالتخلي عن مشاركتهم في التحالف البحري. وقال تقرير نشرته الوكالة إن الرئيس الأميركي، جو بايدن، كان يريد أن يقدّم «رداً دولياً حازماً على هجمات القوات اليمنية على السفن الإسرائيلية والمرتبطة بإسرائيل في البحر الأحمر. ولكن بعد أسبوع من إطلاق التحالف، بدأ العديد من الحلفاء بتسريب معلومات عن عدم رغبتهم في أن يكونوا مرتبطين علناً به، فيما بعضهم أعلن رفض الانخراط فيه على الإطلاق». وبحسب الوكالة، لم تتقدّم نصف الدول التي تم ضمّها إلى التحالف الذي يضم 20 دولة، حتى الآن، للاعتراف بمساهماتها أو تسمح للولايات المتحدة بكشف أسمائها. واعتبرت «رويترز» أن إحجام بعض حلفاء الولايات المتحدة عن المشاركة يعكس التفكّك الذي يعانيه التحالف، واهتزاز صورة الولايات المتحدة، وتراجع تأثيرها.

وفي ظلّ هذه الانشقاقات، قالت القيادة المركزية الأميركية، في بيان، إنها اعترضت هجوماً يمنياً جديداً في البحر الأحمر، مضيفةً أن السفينة الأميركية «بو آس آس ميسون» أسقطت مُسيّرة وصاروخاً بالبستيا مضاداً للسفن جنوب البحر. وجاء في البيان أن الهجوم لم يسفر عن أي أضرار في نحو 18 سفينة كانت متوقفة في تلك المنطقة. وتابعت أن هذه «محاولة الهجوم، هي الثانية والعشرون التي ينفّذها الحوثيون ضد سفن دولية منذ 19 تشرين الأول الماضي».

في هذا الوقت، شهدت صنعاء و12 محافظة يمنية، أمس، تظاهرات مؤيّدة لخيار تنفيذ المزيد من الهجمات البحرية والجوية ضد إسرائيل. وفي تظاهرة ميدان السبعين، توعّد رئيس حكومة صنعاء، عبد العزيز بن حبتور، الولايات المتحدة بهزيمة أشدّ قسوة من هزيمتها في أفغانستان، مؤكداً أن عمليات القوات اليمنية ضد إسرائيل لا تزال في بداياتها. وطالبت المسيرات التضامنية مع غزة، والتي نظمت تحت شعار «معكم حتى النصر»، والأميركي لن يوقفنا»، وشارك فيها مئات الآلاف، القوات المسلحة بمواصلة العمليات البحرية ضد سفن العدو الإسرائيلي وتلك المرتبطة به، بهدف رفع الحصار الجائر المفروض على قطاع غزة، مستنكرين مواقف الدول العربية التي تسعى إلى فتح جسر برّي لإمداد الكيان.

رسم يظهر تجميع القوات الأميركية السفت في البحر الأحمر على شكل قوافل

طوفان الأقصى

العدوّ يريد اتفاقاً: حزب الله يقترب من «عتبة الحرب»

تستمر عمليات المقاومة ضدّ قوات العدو الإسرائيلي على طول الحدود بين لبنان وفلسطين المحتلة، لإسناد المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة. واستهدفت بـ«الأسلحة المناسبة» أمس، مواقع حدب يارون والمرج ورويسة القرن في مزارع شبعا المحتلة. كما هاجمت رافعة تحمل تجهيزات ومعدّات تجسّس في مزارع دوفيف ومرابض مدفعية في خربة ماعر وتجمّع جنود في موقع رامية وأماكن انتشار جنود بين ثكنة زرعيت وموقع بركة ريشا. وفيما تتواصل الاعتداءات الإسرائيلية على البلدات الحدودية، أعلنت «سرايا القدس» أمس استشهاد المقاومَين أحمد علي محمد جبريل (ساحة سوريا) ومحمد فريج الفريج (ساحة لبنان)

غوتيريش حذر من تصعيد أوسع بين إسرائيل ولبنان

على «حدود فلسطين المحتلة في جنوب لبنان، ضمن معركة طوفان الأقصى، أثناء أدائهما واجبهما القتالي».

إلى ذلك، وصفت «القناة 14» العبرية الوضع في الشمال بـ«السيّئ للغاية، وهناك استهداف لمواقع خطيرة يُمنع الإعلان عنها». إلّا أنها أكّدت أن القيادة العسكرية الإسرائيلية «ستواصل عملياتها بالشكل الحالي في لبنان»، فهي ترى أن الوقت الحالي هو «وقت التركيز على حرب غزة فقط لا غير»، و«لا يمكن فتح عدّة جبهات في آنٍ واحد». وفي تحليل لـ«معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي»، قيّم المعهد نشاط حزب الله على أنه «قريب جداً من الحدّ الأعلى تحت عتبة الحرب». ورأى أنه في حال تمّ الردّ على اغتيال العميد الإيراني رضي موسوي، من لبنان - وهو الذي «أدار بنفسه (عملية) توريد الأسلحة المتطورة إلى حزب الله والمُحرّك الأساسي الذي يقود التّراكم المُكثّف للقوة» - فإن ذلك «قد يؤدي إلى حرب مع إسرائيل، في حال تجاوز الرّد عتبة: إطلاق النار على مركز إسرائيل أو إطلاق صواريخ دقيقة».

كذلك، رأت «القناة 14» العبرية أن حزب الله في حال لم يرضَ بالابتعاد عن الحدود بشكل دبلوماسي، فإن «فتح حرب ضدّه في المستقبل البعيد سيكون أمراً منطقياً». وهو خيار يؤيّده 66% من الإسرائيليين، وفقاً لاستطلاع أجرته صحيفة «معاريف». أما على المستوى السياسي، فدعا رئيس حزب «إسرائيل بيتنا»، ووزير الحرب الأسبق، أفيغدور ليبرمان، إلى احتلال منطقة جنوب نهر الليطاني. وقال عبر منصة «أكس»: «أي تسوية للـيوم التالي للحرب في غزة يجب أن تتضمّن رسالة واضحة لعدم العبث معنا، موجّهة إلى حماس وحزب الله، بأن يدفعا ثمناً باهظاً يتمثل في خسارتهما للأرض». وأضاف: «في اليوم التالي، يجب على جنود الجيش الإسرائيلي أن يتمركزوا على نهر الليطاني ويسيطروا على المنطقة الواقعة بين الليطاني والحدود الإسرائيلية».

وفقاً لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، فإن الفرقة العسكرية 91، المسؤولة عن الحدود اللبنانية، «جاهزة الآن للدخول إلى لبنان» و«مرسوم الأمر العسكري للدخول برأ إلى لبنان جاهز». ولفتت الصحيفة إلى أنه يجري الحديث في المستوى السياسي عن «ثلاثة سيناريوات بعد انتقال إسرائيل إلى المرحلة القادمة من القتال في غزة: إما أن تؤدي الوساطة الأميركية - الفرنسية إلى إقناع السكان (الإسرائيليين) بالعودة، وأن يتوقف حزب الله عن إطلاق النار، أو أن إسرائيل ستستمر بإطلاق النار حتى التوصل إلى اتفاق، أو أن يتصاعد الوضع إلى درجة حرب شاملة». والسيناريو الأسوأ بالنسبة إلى القوات الإسرائيلية في الميدان، وفق الصحيفة، هو «توقف حزب الله عن إطلاق النار. فبالنسبة إلى العالم سيكون بالإمكان العودة في الشمال إلى قواعد اللعبة قبل 6 أكتوبر. لكنّ ثمّة شكّاً كبيراً أن يعود السكان إلى بيوتهم».

على ضوء ذلك، حذّر الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، أمس، من أن «تبادل إطلاق النار عبر الخط الأزرق ينذر بتصعيد أوسع بين إسرائيل ولبنان، ويهدّد استقرار المنطقة».

(الأخبار)

هوكشتين عائد إلى بيروت

علمت «الأخبار» أن مستشار الرئيس الأميركي لشؤون الطاقة آموس هوكشتين سيزور لبنان مطلع العام المُقبل في محاولة جديدة للقيام بوساطة هدفها تحقيق وقف لإطلاق النار، ضمن خطة يحملها وتتضمّن نقاطاً سبقَ أن أثارها أمام مسؤولين لبنانيين، وترتكز على فكرة الترسيم البري في إطار للتفاوض من أجل إنهاء النزاع حول 13 نقطة حدودية، وانسحاب إسرائيل من القسم اللبناني لبلدة الغجر.

وقال مطّلعون إن حراك هوكشتين «يعبّر عن رأي موجود لدى قسم من الإدارة الأميركية يسعى لمنع التصعيد، خاصة في هذا الظرف وهذا التوقيت الذي يشهد عرقلة كبيرة في المحادثات الأميركية - الإيرانية التي كانت قائمة في عمان، فضلاً عن «الابتزاز الكبير الذي تمارسه إسرائيل على الدول الغربية من باب المستوطنين في الشمال الذين يرفضون العودة إلى مستعمراتهم إلا بعد تراجع حزب الله عن الحدود».

وكشف المطّلعون عن أن «الاتصالات الغربية مع لبنان لم تتوقف، وكلها لا تزال تحت سقف التحذير من أي تصعيد، وقد ازدادت وتيرة الاتصالات في الأيام الأخيرة بسبب الضغط الإسرائيلي على واشنطن من أجل التوصل إلى حل يتيح عودة مستوطنيها، وإلا لن يكون أمامها سوى خيار التصعيد».

(الأخبار)

وفيات

رئيس مجلس النواب
أعضاء مجلس النواب
ينعون بمزيد من الأسى زميلهم المأسوف عليه
النائب السابق محمد حسن ياغي
المنتقل إلى رحمة الله تعالى
الأربعاء الواقع فيه 27 كانون الأول 2023.

كيف يبني العدو تقديراته للجبهة مع لبنان؟

علي حيدر

يأتي التصعيد الإسرائيلي المتدرّج في جنوب لبنان على خلفية فشل إستراتيجية «الردع الفعال» التي أعلنها رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو، والتي أرادها لكبح حزب الله عن إسناد المقاومة في غزة، كما لفرض معادلة جديدة على حدود لبنان. وهو استعان لذلك بالولايات المتحدة علّها تجد له علاجاً سياسياً. لكنّ قادة العدو يجاهرون الآن، بأن فرص هذا المسار السياسي ضئيلة، إن لم تكن معدومة، ولذلك يعمدون إلى رفدها برسائل نارية، والتهديد بتصاعد المواجهة العسكرية في الجنوب وصولاً إلى الحرب.

في المقابل، تواجه المقاومة هذه الإستراتيجية بمواقف حازمة تُبحض الطرح الذي يدعو إلى إخراج حزب الله من جنوب الليطاني، وبردود عملياتية تناسبية على الضغوط الميدانية، وهو ما عبّر عنه رئيس الاستخبارات العسكرية السابق، اللواء تامير هايمن، بالقول: «نحن نرفع المستوى قليلاً وحزب الله يقوم بذلك، وكأن الطرفين يرقصان رقصة تانغو خطيرة جداً».

ومن الواضح أن الهدف من ارتقاء ردود حزب الله هو فرض معادلة بأنّ المسار التصاعدي الذي يُلوّح به العدو سيُقابل بما يماثله. والموقف الأبرز في هذا الإطار، أعلنه رئيس المجلس التنفيذي في الحزب السيد هاشم صفي الدين، بأن «المقاومة ستدمّر غالبية المستوطنات بالكامل إذا ما تمادوا في اعتداءاتهم»، ما ينطوي على التزام بأن تصاعد اعتداءات العدو ستواجهه المقاومة بما يناسبه في المدى والمفاعيل وطبيعة الأهداف والوسائل القتالية.

يراهن الإسرائيليون والأميركيون على أن جنوح العدو إلى الحرب لاستعادة صورة ردعه الإقليمي بعد عملية «طوفان الأقصى»، بدعم مفتوح من واشنطن، سيضع حزب الله بين خيارين: إما مواجهة عسكرية أكثر اتساعاً وخطورة، أو الاتفاق على ترتيب يعيد الهدوء إلى جانبي الحدود عبر إلغاء وجود المقاومة في جنوب الليطاني. ومن الواضح أنهم يستندون في ذلك، إلى أن إسرائيل، بعد 7 أكتوبر، باتت أكثر استعداداً لتحمل

حزب الله أقفل النقاش قبل وقف الحرب على غزة ومستعد للارتقاء من أجل تثبيت معادلة الردع

الخسائر البشرية والمادية، وإلى تقدير لدى المؤسسة الإسرائيلية بأن حزب الله غير معني بمواجهة عسكرية واسعة وصولاً إلى حرب واسعة، متجاهلين أن هذا التقدير مشروط بارتداع إسرائيل عن العدوان. كما يراهن العدو على تأثير الوضع الاقتصادي في لبنان على الحزب، ولكن موقف المقاومة الحاسم برفض أي حديث قبل إنهاء الحرب على غزة شكّل سداً أمام هذه الأوهام. علماً أن العدو، يحاول الإيحاء بأنه مستعد للمخاطرة بأمن المستوطنات الأكثر عمقاً والمدن المنتشرة في شمال فلسطين المحتلة، من أجل إعادة الشعور بالأمن إلى سكان المستوطنات الحدودية... ولكن، هل قيادة العدو مستعدة فعلاً لخوض خيار عملياتي يرتّب أثماناً باهظة من أجل طمأنة مستوطني الحدود اللبنانية؟

تجيب عن هذا السؤال أصوات وازنة داخل كيان العدو، أبرزها نائب رئيس الأركان السابق اللواء يائير غولان، الذي أكّد أن إسرائيل «لن تبعد قوّة الرضوان إلى ما بعد الليطاني، لأننا لن نفتح حرباً، ولأن حزب الله نجح في ردعنا، ولن نخوض في أي وقت حرباً مع حزب الله بمبادرة منا. هذا الأمر صعب جداً».

ينبع رفض حزب الله من أنّ وجود المقاومة في منطقة جنوب الليطاني هو حقّ وواجب، وهو من أهم عناصر القوة الردعية والدفاعية للمقاومة في مواجهة العدو، كونه يمنح المقاومة فرصاً عملياتية واستخباراتية. ولأن العدو هو أكثر من يدرك ذلك، يحاول مع الولايات المتحدة أن يسلب المقاومة ولبنان هذه الميزة.

وفي إطار الحرب النفسية، عمد العدو أخيراً إلى إعادة تعويم الحديث عن خيار الضربة الاستباقية الذي طرحه وزير الأمن يوآف غالانت والمؤسسة العسكرية في الأيام الأولى التي تلت «طوفان الأقصى»، بهدف الإيحاء بأن قيادة العدو كما لو أنها على وشك تبنّي مثل هذا الخيار. لكن، وبعيداً عن الأسباب التي يوردها العدو لسقوط هذا الخيار، فإن العامل الجوهري الرادع كان في تقدير كلفة هذا الخيار ونتائجه على المنطقة بأكملها، لأنّ رد حزب الله سيطال العمق الإستراتيجي في كيان العدو، ولأن مفاعيل «طوفان الأقصى» لن تحول دون قراره بالرد التناسبي.

صحيح أن العدو يتحرك عملياتياً في اتجاه تصاعدي مدروس، استناداً إلى تقديرات ورهانات. لكن، في لحظة الحسم، ستحضر على طاولة القرار تداعيات «طوفان الأقصى»، وحرب الاستنزاف التي تواجهه في غزة. كما ستحضر أيضاً ما ستتحمله الجبهة الداخلية. لذلك لن يطول الوقت حتى يكتشف العدو أن ما يستند إليه من تقديرات ورهانات ليس إلّا أوهاماً، وسيجد نفسه فعلاً أمام اختبار الواقع. لكن السؤال - التحدّي: هل سيكون الخيار العقلاني حاضراً ذلك قبل التورّط «المدروس»، أم بعد أن يتلقّى ما يناسبه؟

استراحة

إعداد **نعوم مسعود**

كلمات متقاطعة 4490

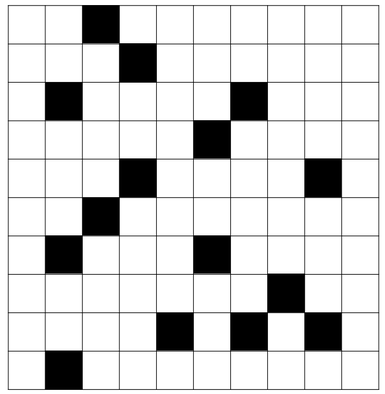

أفقيا

1- من الكواكب – ثغر – 2- جامعة مصرية – مدينة في فلسطين – 3- أمور فظيعة – باب عظيم – 4- أطول أنهر فرنسا – ممسوس وخفيف العقل – 5- الحدّ الأدنى الذي يتعيّن حضوره في مجلس النوّاب لتكون مقررات الجلسة قانونية – قصف مدفعي – 6- القصر – ضاع – 7- عائلة رئيس لبناني – فتح الباب على مصراعيه – 8- وشى – بوافقها ويلائمها – 9- عائلة رئيس وزراء بريطاني راحل – 10- مطار فرنسي

عمودياً

1- مديرية في جنوبيّ السودان عاصمتها ملكال – 2- جزيرة إيطالية صغيرة – يبيعه الجزّار – 3- جزيرة في الفيليبين – تهيّأ للحملة في الحرب – 4- متشابهان – بقيّة حسابي في المصرف – 5- اليابس من ثمر النخل – حرف عطف – من الحيوانات – 6- أحد متصرفي جبل لبنان – 7- للتاوه – كاتب سرياني قديم يُعرف بالأبرص – 8- من أنواع البطيخ – بلدة لبنانية في قضاء عاليه – 9- حلّ العقدة – لمع البرق – هدم الحائط – 10- إعلامي لبناني

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1-الشيخ إمام – 2- مانديلا – ني – 3- أرق – اليراع – 4- لن – فرّي – دقّ – 5- دكار – طوكيو – 6- ناي – ١١١ – شب – 7- كوانتس – 8- اب – تور – 9- هاون – لولو – 10- جورجي جوكوف

عمودياً

1-أم الدنيا – 2- لارنكا – بهو – 3- شنّ – ايك – أر – 4- يد – فر – ولوج – 5- خيار – ١١ – ني – 6- الليطاني – 7- ماي – وات – لو – 8- ردّك – ستوك – 9- مناقيش – ولو – 10- يعقوب صرّوف

sudoku 4490

9	3			1			7	4
	4	6	9		7	2	3	
3		9		2			4	7
				7	9			5
	5			8				
	7		2		1	5	6	
	1		5		4			
				6			1	2

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4489

6	2	3	1	9	4	5	8	7
5	8	7	3	6	2	4	1	9
1	9	4	8	7	5	2	3	6
2	7	9	6	4	8	3	5	1
3	1	5	7	2	9	6	4	8
4	6	8	5	3	1	9	7	2
9	3	1	4	8	6	7	2	5
8	4	6	2	5	7	1	9	3
7	5	2	9	1	3	8	6	4

مشاهير 4490

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

وزير داخلية سابق في المملكة الأردنية الهاشمية. حائز على وسام جوقة الشرف الفرنسية

5+6+2+3+4 = نهر فرنسي ■ 8+7+9+1 = عناد الفرس ■ 10+11 = خاصتي

حل الشبكة الماضية: **ايون ايليسكو**

طوفان الأقصى

حزب الله: معضلات الردّ على أنواعه

لا يزال نصرالله زعيماً أكبر من بلده، ولديه المعرفة الكبيرة بإسرائيل وهو صاحب قرار ولا يتأثر بالانفعالات والمزايدات

أسعد أبو خليك

لا يمكن أن نستوعب حجم أعباء قرارات جمال عبد الناصر قبل هزيمة عام 1967. ليس سهلاً علينا إدراك صعوبة أن تعلّق الجماهير الآمال العريضة على شخص واحد. عندما يكون الزعيم أكبر من بلده تكبر المسؤوليّة وتكبر عواقب أي قرار يتخذه. لم تعد زعامة حسن نصرالله اليوم بحجم زعامته قبل الحرب السوريّة، لكنه لا يزال زعيماً تتخطّى زعامته حدود لبنان، كما أن دوره في محور المقاومة يتعاظم، وقد يكون المسؤول الأوّل عن القرار المباشر للمحور كلّه. الحرب تستمرّ وكل يوم تزداد الضغوطات على الحزب في كل الاتجاهات. كتب نسيم طالب قبل أيّام إنّ سلوك «أنصار الله» في اليمن يثبتُ أنهم ليسوا أدوات إيرانيّة، بالرغم من التحالف الاضطراري الذي نسجوه بسبب الحصار والحرب الوحشيّة التي تعرّضوا لها (والتقارير الأميركيّة الواردة في تسريبات «ويكيليكس» تقول نفس الشيء عن «أنصار الله»). إنّ فتح الحرب من قبل «أنصار الله» على العالم الغربي والعربي المتحالف مع إسرائيل يتناقض مع الحسابات الدقيقة التي تتبعها السياسة الإيرانيّة. وعلاقة الحزب بإيران تختلف كلياً، عن علاقة «حماس» أو «أنصار الله» بإيران. الحزب بات العمود الفقري في التحالف الإقليمي، وفهم نصرالله للسياسات الإقليميّة والدوليّة أعمق من فهم باقي الأطراف والشخصيّات. كما أن دراسته الدقيقة لإسرائيل ومكامن الضعف فيها لا يجاريها الآخرون من أطراف المحور. بناءً عليه، ولأسباب أخرى، يبدو أنه هو الذي يُقرّر مسار الصراع مع إسرائيل.

لكن ماذا يمكن أن يفعل الحزب الآن، ماذا يمكن أن يفعل الحزب في ضوء استمرار العدوان؟

إسرائيل تزيد من غيّها ووحشيّتها، وبنيامين نتنياهو يؤجّل وقف الحرب لأسباب عديدة، بما فيها الأسباب الخاصة بمستقبله السياسي لعلمه أن ما ينتظره بعد وقف الحرب، هو التحقيقات والمحاكمة والعزل. والعقيدة العسكريّة الإسرائيليّة في ضرورة سحق العرب وتخويفهم لا تحتمل وقف الحرب الآن، كون النتيجة ستكون انتصاراً («حماس»). وأطراف المحور تحتاج إلى بعضها البعض أكثر من أي وقت مضى. وهذا الحساب كان وراء تدخّل الحزب في سوريا، بصرف النظر عن التقييم السياسي العرضي، إذ تمثل سوريا أهم طرق الإمداد الأساسيّة لحركة المقاومة. وقد اجترح المقاومون طرقاً مبتكرة لإمداد غزة عبر السنوات، إلى أن أتى عهد عبد الفتاح السيسي وتعاون مع إسرائيل في إحكام إغلاق كل منافذ القطاع، فيما تُحكم عصابة السلطة منافذ الضفة، أو هي تتعاون مع الاحتلال في وصد أبواب السجن الكبير.

لا يستطيع الحزب أن يحسب قراراته بناء على تصريحات أو مطالب أعدائه، في لبنان أو الخارج. عندما يكتب عبد الرحمن الراشد في «الشرق الأوسط» أن الحزب «يتهرّب من المشاركة» تعلم أن النيّة خبيثة وأن العدّة جاهزة للتعامل مع تدخّل الحزب أو إحجامه. لو أن الحزب امتنع عن التدخّل، لكانت هذه الأبواق قد أخرجته من العروبة كلياً. ولو هو فتح الحرب الواسعة، لكان تحمّل وحده مسؤوليّة الدمار، وكان هؤلاء تبرّعوا بتبرئة إسرائيل، كما فعلوا بالنسبة إلى حرب تمّوز. يومها، سوغت جريدة «الشرق الأوسط» القصف الإسرائيلي اليومي على جنوب لبنان وزعمت، نقلاً عن العميد اللبناني المتقاعد، ناجي ملاعب، أن المنازل التي تقصفها إسرائيل هي لعناصر حزب الله (كيف عرف ملاعب ذلك. هل هو قصاص أثر أو دلّال؟). لكنّ الحزب فاجأهم بمساندته أهل غزة عبر الإسناد اليومي لمواقع عسكريّة إسرائيليّة وتهجير سكان مستعمرات الشمال، لكن هذا لم يصل إلى الإمكان الرؤية أوضح؛ أي حرب يدخلها الجيش الإسرائيلي ولا يحسمها هي هزيمة. ما من إمكانية لنصف انتصار. عدم الحسم هزيمة. وفي حرب تموز لم يستطع أن يحسم. أمّا عن ركيزة الردع، فإنّ مجرد عملية أسر الجنود ودخوله الحرب، دليل على سقوط هذه الركيزة. يبقى «الإنذار المبكر»، ميزان القوة كاسراً لمصلحة الكيان. ما الذي تغيّر حتى تبدأ هذه العقيدة بالتحوّل من نقطة قوة إلى نقطة ضعف، وفي الإمكان القول إلى نقطة قاتلة. لقد صارت «عقيدة بن غوريون» عبئاً ثقيلاً على كاهل كيان الاحتلال وجيشه، منذ فُقدت أهم اثنتين من ركائزها، «الردع» و«الحسم»، ولم يحدث ذلك بين ليلة وضحاها، ولا جزاء حرب كتلك التي تنشب بين الجيوش، ولكنها بدأت حين بدأ هذا الجيش يواجه فصائل مقاومة لا ترمي سلاحها، فصائل قد لا تحسم هي الأخرى، لكن مجرد صمودها أكثر من كافٍ. ولا أعني الفلسطينية فقط، ففي السياق، أنست مدة احتلال جنوب لبنان، والتصاعد النوعي لعمليات المقاومة الإسلامية، لهذا النهج، بتؤدة وصبر كمن يحفر في الصخر، وصولاً إلى الانسحاب الإسرائيلي عام 2000، من دون اتفاق أو «معاهدة سلام».

كانت حرب تموز 2006 مفصلاً، وصار في باب مكابرته. هل يستطيع الحزب أن يمنع عبر غزة ولا يستطيع أن يفكّ أسرها عن بُعد؟

إنّ هدف القصف هو سياسي بكلفة عالية (يستخدَف البعض من حجم الاشتباك المستمرّ بين لبنان وإسرائيل في الوقت الذي وصل فيه عدد شهداء المقاومة في مواجهة إسرائيل إلى أكثر من 120). والتضامن السياسي هو واجب أخلاقي على الحليف الأوثق لـ«حماس» في الوقت الذي تنضت فيه كل الحكومات العربية، من دون استثناء، من «حماس» (والإعلام السعودي ناشط يوميّاً في ذم «حماس» وتبرئة إسرائيل). والقصف يضغط على العدو عبر تهجير سكان الجليل الذين تتكفّل الحكومة بإيوائهم في فنادق وتحوير جهود الجيش من جبهة الضفة وغزة وإشغاله في اشتباكات يوميّة يقلّص من قدرات الجيش مهما زعم العكس من كيف يتصرّف الحزب في هذه الحالة، وهو بعيد عن غزة ولا يستطيع أن يفكّ أسرها عن بُعد؟

وانتصار «حماس» في غزة (وهو متوقّع)، وعلى أهميته بالنسبة إلى حزب الله كقوة مقاومة، إلا أن خصومه، سوف يعملون على تحويله إلى معضلة سياسيّة للحزب أيضاً. سيُقال إن «حماس» حقّقت النصر بقواها الذاتيّة. وسوف تستخلص قوى التحريض الطائفي والمذهبي العبر المفيدة لتأجيج الفتنة. وسيُقال إن الحزب وقف متفرّجاً فيما كانت غزة تتعرّض لأكبر عمليّة تدمير ممنهج في تاريخها المعاصر. وسيُقال إن الحزب رفض أن يهبّ لنجدة غزة في هذه الحرب المدمّرة.

لكن الحزب يعي التجارب التاريخيّة ويستفيد منها ويتعلّم من أخطاء من سبقه في مواجهة ومحاربة إسرائيل. من غير الحكمة أن تدع خصمك أو عدوّك يحدّد لك برنامجك أو روزنامتك في الصراع. هذا كان خطأ جمال عبد الناصر، عندما تأثّر بمزايدات تعرّض لها من قبل الأنظمة في سوريا والأردن ودول الخليج، وهي مزايدات ضجّ بها الإعلام المؤثر لهذه الأنظمة في لبنان. الحزب يحدّد أجندته وفقاً لبرنامجه هو، وبرنامج المحور الذي يقوده بالتشارك مع إيران. لم يعد النظام السوري مؤثّراً، بحكم الإنهاك الذي تعرّض له عبر الحرب المدمّرة هناك. انتصار «حماس» هو انتصار للمحور (وانتصار للعرب أجمعين)، وستستطيع «حماس» أن تتعامل مع النصر بطريقة تفيد المحور ككلّ. لكنها تبدو، حتى الساعة، عرضة لتوجّهات الإعلام الخليجي الذي يضعها دوماً في موقع دفاعي. عليها أن تثبت دوماً أنها ليست أداة إيرانيّة فيما تجاوز الحزب تلك العقدة.

وكيف يتخذ الحزب قراره في لبنان؟ وكيف يتأثّر بمعرفته أن هناك نحو نصف الشعب اللبناني من الذين يتمنّون نصر إسرائيل على العرب (هذا كان مساراً لبنانيّاً منذ النكبة. كان هناك دوماً أحزاب وفئات وشخصيّات وكنائس أقرب إلى إسرائيل منها للعرب). إلى أيّ درجة يكبّل هذا الفريق المنضوي في المحور الخليجي (الذي يضمّ إسرائيل) أيدي الحزب في حركته في مواجهة إسرائيل؟ كان هناك حملة مبرمجة عند بدء الحرب من أجل إعادة تشكيل 14 آذار، أي تحالف متعدّد الطوائف من دون الشيعة (طبعاً، كان هناك أفراد شيعة من الذين نالوا 62 صوتاً في الانتخابات). وهذا التحالف كان يقف ضد المقاومة في حرب تمّوز وبعضه، أو أكثره، ناصر إسرائيل ضد لبنان (لم يعد هذا الأمر مخفياً بعد نشر وثائق «ويكيليكس» وفيها أمثال بطرس حرب وهو يعطي إرشادات ميدانيّة لجيش العدوّ كي يتقدّم في أرض الجنوب، وكان وزير الدفاع إلياس المرّ يقدّم النصح لإسرائيل من باب الحرص... ترى ماذا حلّ بصندوق الأخير للانترربول؟)

لكن بعض المطالبات للحزب برفع وتيرة الحرب صادقة النيّة (وإن كان بعضها الآخر خبيث). والعرب لديهم شعور بالضيق مما يحدث في غزة ورغبة جامحة في مدّ العون لأهلها وإن عن بُعد. لكن كيف ذلك ولبنان لا يجاور القطاع؟ والحزب يرفع وتيرة قصفه وإيذائه للعدوّ بصورة مدروسة ودقيقة من ضمن سقف الاشتباك المضبوط. وإن تفرض شروط اشتباك على العدوّ هو إنجاز آخر للمقاومة (من دون الاستهانة بتدخّل الفوج المجوّل للجيش اللبناني في عمليّة نوعيّة قبل يومين لإنقاذ مواطنين عالقين في التلفيريك). لم يسبق أن استطاع طرف عربي فرض ضوابط على حرب إسرائيليّة ضد العرب. هذا مستوى عالٍ جداً من الردع والتخويف. وأيّ زيادة في منسوب القصف في الجنوب ستفتح المعركة الكبرى. وشعار «نحن نختار زمان ومكان المعركة» بات عرضة للتندّر، وعن حق، من قبل العرب لكثرة ما استعمله النظام السوري في تسويغ عدم ردّه على عدوان إسرائيل. لكن للحزب وحده حق رفع هذا الشعار بسبب المصداقيّة التي اكتسبها من سياساته الردعيّة المؤثّرة.

هل صحيح أن إسرائيل تريد أن تفتح الحرب الكبرى؟ أشكّك في ذلك كثيراً وأرى أنّ التسريبات عن همّة أميركيّة في ضبط إسرائيل يدخل في بروباغاندا صهيونيّة تهدف إلى إضفاء لمسة حنونة على الحكومة الأميركيّة العدوانيّة، وتجميل صورتها في الرأي العام العربي (مروان حمادة أفتى أن الغرب والخليج هم الذين يردعون إسرائيل نحو لبنان، لكن لم يفسّر لماذا هذه السياسة الردعيّة لم تتزامن إلا مع نشوء هذه المقاومة... لماذا لم يردعوا إسرائيل بين عامَي 1948 و2000) إسرائيل تعلم ما الذي ينتظرها في لبنان، وهي تستخدم وحشيّتها في غزة كي تقنّد يد الحزب لعلمها أن العامل الإنساني مؤثّر في موقف الحزب من الحرب الجارية. لا يريد الحزب أن يُلحق دماراً شاملاً بلبنان مع علمه أنه يستطيع أن يجعل إسرائيل تدفع الثمن غالياً. والحزب يتدخّل يومياً في الحرب بصورة مباشرة (أمور لا نعلمها عن المساندة والعون السرّي في كل الجبهات. اليس سامي شهاب، المقاوم الذي اعتقله النظام المصري وهو يهرّب السلاح إلى غزة، هو الجندي المجهول في حرب غزة؟)

تمارس إسرائيل وأميركا حرباً نفسيّة ضد الحزب، لكن للحزب مهارة لا يُستهان بها في الحرب النفسيّة وهو يعرف كيف يتلاعب بأعصاب العدوّ. لكنه محكوم بضوابط الداخل اللبناني الطائفي. قد لا ترغب أميركا في إشعال الحرب الكبرى مع الحزب، لكن ليس رأفةً بلبنان. بل هي تخشى على مصالحها، وتعلم أن وجودها المنتشر في المنطقة يعرّضها لأذى كبير لو هي شاركت في الحرب ضد الحزب. صحيح أن لا حدود لدعم إدارة جو بايدن لإسرائيل لكن ذلك محصور اليوم بالعدوان على غزة. ولو انتصرت «حماس» سيكون بايدن أكثر استعداداً لإتاحة المجال لإسرائيل لاستعادة بعض من كرامتها. المعضلة لإسرائيل: أن لبنان بات آخر ساحة يمكن لها أن تستعيد كرامتها العسكريّة فيها. هذا إن قدرت على تحقيق ذلك!

(أ ف ب)

عقيدة بن غوريون: الجثة لم تُدفَن بعد

لقد صارت عبئاً ثقيلاً على كاهل كيان الاحتلال وجيشه، منذ فقدت أهم اثنتين من ركائزها، «الردع» و«الحسم»

محمد المقهور *

ماذا يفعل جيش حين يصاب في عقيدته القتالية، وهذه إصابة أخطر من رصاصة في القلب أو الرأس، لأن العقيدة القتالية لأي جيش أو تنظيم مسلح، تحتاج الاثنين معاً، فبدونهما لا وجود للروح القتالية.

تحب الجيوش التسميات الكبيرة، الفخمة، لهذا نرى توصيفات ورموزاً تتراوح بين نسور وأسود وصواعق، شيء يوحي بالقوة والرهبة. بعض الجيوش، الغربية تحديداً، ارتبطت عقيدتها القتالية بأسماء بعض قادتها أو زعمائها، هنا يعنينا الجيش الإسرائيلي، وتسمية ارتبطت به على مدى عقود، هي: «عقيدة بن غوريون».

قبل الكثير عن هذه العقيدة القائمة على ثلاث نقاط: «الردع» و«الحسم» و«الإنذار المبكر»، وهي مفردات تماهى معها لزمن قادة الجيش الاحتلال وجيشه ومستوطنوه بعد كل حرب «كلاسيكية»، في مواجهة جيش أخو أو تنظيم مسلح، ولم تكن عمليات «الموساد» بعيدة عن هذا السياق. رافقت ذلك دعاية مدروسة أسهمت في خلق صورة للجيش الإسرائيلي، وصولاً إلى نعته بـ«الجيش الذي لا يُهزَم»، صفة عُمل عليها طويلاً، مثلما عُمل على تسمية «جيش الدفاع الإسرائيلي»، ولكن ذلك زمن مضى.

قد تكون حرب تشرين الأول 1973 قد دخشت هذه العقيدة، ولكنها لم تتعدّ السطح، ظل التفوق العسكري الإسرائيلي قائماً، وتم التعويض عن هذه الحرب سريعاً عبر مزيد من الدعم الغربي عسكرياً وسياسياً، وخصوصاً الأميركي، في مقابل مفاده: ما نخسره في الميدان نضغط لنعوضه في محادثات وقف إطلاق النار ونربح أكثر على الغربي والعربي المتحالف مع إسرائيل يتناقض مع الحسابات الدقيقة التي تتبعها السياسة الإيرانيّة. وعلاقة الحزب بإيران تختلف كلياً، عن علاقة «حماس» أو «أنصار الله» بإيران. الحزب بات العمود الفقري في التحالف الإقليمي، وفهم نصرالله للسياسات الإقليميّة والدوليّة أعمق من فهم باقي الأطراف والشخصيّات. كما أن دراسته الدقيقة لإسرائيل ومكامن الضعف فيها لا يجاريها الآخرون من أطراف المحور. بناءً عليه، ولأسباب أخرى، يبدو أنه هو الذي يُقرّر مسار الصراع مع إسرائيل.

لكن ماذا يمكن أن يفعل الحزب الآن، ماذا يمكن أن يفعل الحزب في ضوء استمرار العدوان؟

إسرائيل تزيد من غيّها ووحشيّتها، وبنيامين نتنياهو يؤجّل وقف الحرب لأسباب عديدة، بما فيها الأسباب الخاصة بمستقبله السياسي لعلمه أن ما ينتظره بعد وقف الحرب، هو التحقيقات والمحاكمة والعزل. والعقيدة العسكريّة الإسرائيليّة في ضرورة سحق العرب وتخويفهم لا تحتمل وقف الحرب الآن، كون النتيجة ستكون انتصاراً («حماس»). وأطراف المحور تحتاج إلى بعضها البعض أكثر من أي وقت مضى. وهذا الحساب كان وراء تدخّل الحزب في سوريا، بصرف النظر عن التقييم السياسي العرضي، إذ تمثل سوريا أهم طرق الإمداد الأساسيّة لحركة المقاومة. وقد اجترح المقاومون طرقاً مبتكرة لإمداد غزة عبر السنوات، إلى أن أتى عهد عبد الفتاح السيسي وتعاون مع إسرائيل في إحكام إغلاق كل منافذ القطاع، فيما تُحكم عصابة السلطة منافذ الضفة، أو هي تتعاون مع الاحتلال في وصد أبواب السجن الكبير.

لا يستطيع الحزب أن يحسب قراراته بناء على تصريحات أو مطالب أعدائه، في لبنان أو الخارج. عندما يكتب عبد الرحمن الراشد في «الشرق الأوسط» أن الحزب «يتهرّب من المشاركة» تعلم أن النيّة خبيثة وأن العدّة جاهزة للتعامل مع تدخّل الحزب أو إحجامه. لو أن الحزب امتنع عن التدخّل، لكانت هذه الأبواق قد أخرجته من العروبة كلياً. ولو هو فتح الحرب الواسعة، لكان تحمّل وحده مسؤوليّة الدمار، وكان هؤلاء تبرّعوا بتبرئة إسرائيل، كما فعلوا بالنسبة إلى حرب تمّوز. يومها، سوغت جريدة «الشرق الأوسط» القصف الإسرائيلي اليومي على جنوب لبنان وزعمت، نقلاً عن العميد اللبناني المتقاعد، ناجي ملاعب، أن المنازل التي تقصفها إسرائيل هي لعناصر حزب الله (كيف عرف ملاعب ذلك. هل هو قصاص أثر أو دلّال؟). لكنّ الحزب فاجأهم بمساندته أهل غزة عبر الإسناد اليومي لمواقع عسكريّة إسرائيليّة وتهجير سكان مستعمرات الشمال، لكن هذا لم يصل إلى الإمكان الرؤية أوضح؛ أي حرب يدخلها الجيش الإسرائيلي ولا يحسمها هي هزيمة. ما من إمكانية لنصف انتصار. عدم الحسم هزيمة. وفي حرب تموز لم يستطع أن يحسم. أمّا عن ركيزة الردع، فإنّ مجرد عملية أسر الجنود ودخوله الحرب، دليل على سقوط هذه الركيزة. يبقى «الإنذار المبكر»، ميزان القوة كاسراً لمصلحة الكيان. ما الذي تغيّر حتى تبدأ هذه العقيدة بالتحوّل من نقطة قوة إلى نقطة ضعف، وفي الإمكان القول إلى نقطة قاتلة. لقد صارت «عقيدة بن غوريون» عبئاً ثقيلاً على كاهل كيان الاحتلال وجيشه، منذ فُقدت أهم اثنتين من ركائزها، «الردع» و«الحسم»، ولم يحدث ذلك بين ليلة وضحاها، ولا جزاء حرب كتلك التي تنشب بين الجيوش، ولكنها بدأت حين بدأ هذا الجيش يواجه فصائل مقاومة لا ترمي سلاحها، فصائل قد لا تحسم هي الأخرى، لكن مجرد صمودها أكثر من كافٍ. ولا أعني الفلسطينية فقط، ففي السياق، أنست مدة احتلال جنوب لبنان، والتصاعد النوعي لعمليات المقاومة الإسلامية، لهذا النهج، بتؤدة وصبر كمن يحفر في الصخر، وصولاً إلى الانسحاب الإسرائيلي عام 2000، من دون اتفاق أو «معاهدة سلام».

كانت حرب تموز 2006 مفصلاً، وصار في الأسر، ودخل الحرب وانتصر وخرج. عدم الحسم هزيمة، ولن يحسم، كما لم يستطع الحسم في معارك «وحدة الساحات»، وقبلها «سيف القدس»، و«صيحة الفجر»، و«البنيان المرصوص»، بينما حرصت المقاومة على أن تكون آخر من يُطلق قبل دخول إطلاق النار حيز التنفيذ. إنّ ما اعتُبر إنجازاً في حرب تموز، حين رأى العالم تدمير دبابات «الميركافا» وحرقها بمن فيها، أصبح في «طوفان الأقصى» مشهداً عادياً. أهم نخب هذا الجيش، أهينت في الاشتباكات مع المقاومين، من غرفة لغرفة، وجهاً لوجه، عيناً بعين، وأحد لن يستطيع الإنكار أو التخفيف من هذه الهزيمة. وهنا، تجب العودة إلى أهم ما يميز المقاتل، ما يجب أن يمتلكه، وهو الروح القتالية، وقد أثبت رجال المقاومة الفلسطينية، أثبتت «القسام» و«سرايا القدس» ومن معهما، أنهم أصحاب الميدان، وأن لا مجال للمقارنة بين الروح القتالية التي يملكونها والمتاصلة فيهم، وبين أداء الجندي الإسرائيلي، ولا أقول روحه القتالية، لأنه صار جلياً أن أفراد هذا الجيش يتحوّلون إلى شخصيات أخرى خارج دباباتهم أو طائراتهم.

يدرك الإسرائيلي ومن يدعمه ذلك كله، يعرفون أن النتائج كارثية، وقد اعتاد الإسرائيلي بعد حروبه جني الثمار، والطرف الآخر يدخل في غيبوبة أو يسقط في «خيار السلام»، وفي الواقع هو استسلام، ويذهب إلى التطبيع سراً ثم علانية كما في السنوات الأخيرة، لتتحول أقوى مواقفه، وبـ«إجماع عربي»، إلى مبادرة فيها بعض النقاط المسماة شروطاً، شيء يشبه «العراضة» والمسرحية «الدونكيشوتية»، كما فعل السادات حين قرر زيارة الكنيست، «إنني مستعد أن أذهب إلى الكنيست ذاته ومناقشتهم»، هكذا كان كلامه أمام مجلس الشعب المصري، الهزيمة بأبشع صورها، الكذب بأقبح صوره.

أعرف أنّ مقدار التفاؤل عالٍ في كل ما كُتِب، ولكنّني أجزم أنه تفاؤل عقلاني. مجرد ذكر ما يُسمى «الجبهة الداخلية» للكيان، هو باعث على الاطمئنان، هذه جبهة حرب حقيقية، ومريحٌ جداً الشبه بين الجندي والمستوطن الإسرائيليين، فالجيوش تشابه شعوبها، هكذا يجب أن يكون، أن يستمدا من بعضهما القوة والثبات، يمكن القول إنهما يتقاسمان الروح القتالية ذاتها للبلد والأرض، وهذا مفقود لدى الإسرائيلي. في المقابل، الفلسطيني الذي برفض مغادرة قطاع غزة المدمر، هو مقاوم ظهراً لظهر مع المقاتل. أهالي الشهداء والجرحى الصامدون هم مقاتلون بكل ما للكلمة من معنى. هذا بعض من الفرق بين صاحب الأرض ومحتلها. التمسّك بالأرض عقيدة قتالية، تحريرها عقيدة قتالية، الثأر للشهداء وللجرحى وللأسرى عقيدة قتالية، والحق، أيضاً، وقبل كل شيء، عقيدةٌ قتالية. وما من شيء يجدي جيشاً، يُجبَر عناصره على الخدمة، ويحملون الهزيمة وجثة عقيدتهم القتالية كما العتاد، لحماية مستوطنين يتفحّصون جوازات سفرهم الثانية كما يطمئنون على أولادهم، ولو ملأت رايات جيشهم صور النسور والأسود، وكل رسومات أبطال «مارفيل».

* صحافي وكاتب

عام إضافي من الفشل والمراوحة

سعد الله مزرعاني *

لا شك أن أكبر وأخطر ما ميّز العام المنصرم، فلسطينياً وإقليمياً، وحتى لبنانياً، وخصوصاً منذ السابع والثامن من أكتوبر الماضي، هو عملية «طوفان الأقصى»، ثم العدوان على غزة. يتّصل بذلك مسارعة «حزب الله» في لبنان إلى إعلان تضامنه مع مقاومة وشعب غزة، سياسياً وعسكرياً، ضد الهجوم البربري الصهيوني، بمشاركة أميركية وأطلسية، والذي تحوّل إلى حرب إبادة همجية ضد قطاع غزة بشراً وعمراناً ومرافق عامة من كل نوع.

في لبنان نتجاوز، مع انتهاء عام 2023، أكثر من أربع سنوات عجاف من تاريخ افتضاح وانفجار عملية النهب الشاملة وغير المسبوقة للشعب اللبناني، مقيماً ومغترباً، وكذلك لعشرات الآلاف ممن أودعوا أو وظّفوا، من غير اللبنانيين، ظناً منهم أن ما كان يروّج عن قوة ومناعة النظام المصرفي اللبناني، هو حقيقة وليس وهماً وخداعاً كما تبين، لاحقاً، بصورة كارثيّة! كشفت سرقة القرن تلك، ثم ملابسات انفجار مرفأ بيروت (آب 2020) والتحقيق وانقطاع التحقيق بشأنه، الصلة العضوية ما بين أسباب حصولها وبين النظام السياسي والاقتصادي والمعروف باسم «النظام الاقتصادي الحر». بلغت درجة التمسك والمباهاة بالنسخة اللبنانية «المميزة» لهذا النظام، حد إدراجه في «مقدمة الدستور» عبر النص الآتي: «النظام الاقتصادي حر يكفل المبادرة الفردية والملكية الخاصة» (إضافة «الطائف»).

تسوية «الطائف» كرّست ولم تُضف. التمسك بالاقتصاد «الحر» قائم وممارس منذ التأسيس وعلى امتداد بلورة لبنان في كيانه المعاصر: من نظام القائمقاميتين إلى «لبنان الكبير» (1926)، إلى الاستقلال عام 1943...

في امتداد ذلك تخطّت «الحرية الفردية» المطلقة والفالتة، في «المبادرة» و«الملكية»، الأفراد إلى الجماعات الطائفية التي انتقلت من تنوعات وتمايزات دينية-اجتماعية، إلى مكونات في الدولة وبالدولة (مهدي عامل).

ثم تحوّلت، بقدرة، ولصلحة مستفيدين من رجال دين ودنيا، إلى دويلات تتحاصص موارد البلاد ومراكز النفوذ والسلطة والنشاط فيها... بما في ذلك الحقول الأمنية والقضائية والتربوية والثقافية والرياضية.

تبلور ذلك في مزيج تركيبي عضوي، سياسي واقتصادي، بلور، بدوره، فوضى «لذيذة» سوّقتها البورجوازية اللبنانية بوصفها «أعجوبة وحكاية نجاح وفرادة وحريات وازدهار»، لكنها كانت، في الواقع، خلطة خطيرة تحولت، بتعاظم الاختلالات وطغيان الجشع وانعدام الرقابة والمحاسبة، وبالارتهان للقوى الاستعمارية خصوصاً، إلى أكبر جريمة سرقة نهب وانهيار، في لبنان، وربما، في العالم!

مع دخول الأزمة الكبرى عامها الخامس تبين أن الطبقة الحاكمة، الممثلة للبورجوازية اللبنانية الكبرى وللبيوتات الإقطاعية الراسخة، كانت تدير مشروع تحاصص وهيمنة ونهب محسوباً ومحصّناً جيداً، بالطائفية، وبأشكال أخرى من النزعات والعصبيات والحمايات الأجنبية. وهي غذّتها واستخدمتها أداة لكسب النفوذ والشرعية اللذين ما لبثا أن تكرسا في صيغة كوتا سلطوية للتقاسم والإدارة والاحتكار. تكونت إثر ذلك منظومة معززة أيديولوجياً بأضاليل هم مقاتلون بكل ما للكلمة من معنى. هذا بعض من الفرق بين صاحب الأرض ومحتلها. التمسّك بالأرض عقيدة قتالية، تحريرها عقيدة قتالية، الثأر للشهداء وللجرحى وللأسرى عقيدة قتالية، والحق، أيضاً، وقبل كل شيء، عقيدةٌ قتالية. وما من شيء يجدي جيشاً، يُجبَر عناصره على الخدمة، ويحملون الهزيمة وجثة عقيدتهم القتالية كما العتاد، لحماية مستوطنين يتفحّصون جوازات سفرهم الثانية كما يطمئنون على أولادهم، ولو ملأت رايات جيشهم صور النسور والأسود، وكل رسومات أبطال «مارفيل».

تواصل منظومة التحاصص والنهب ممارساتها في تعطيل المؤسسات وربطها بتنافس وصراعات فئوية او موجهة من الخارج

ولم يُحاسب أحد، وكأن شيئاً لم يحصل! وها هي تواصل سيرتها وسياساتها وممارساتها في النهب والتسلط والاستنزاف والتبعية دونما حسيب أو رقيب. في مؤلفه بعنوان «نحن والطائفية» كتب الرئيس سليم الحص من موقع الخبرة والمعاناة في السلطة وخارجها: «نحن من الذين يعتبرون الطائفية آفة لبنان المركزية»! يمكن تبني هذه الخلاصة بالكامل مع التشديد على أن الكوتا الطائفية في السلطة هي أداة الطبقات البورجوازية الكبرى لفرض وإدامة سيطرتها، متفلتة، بقوة تأثير العصبيات العمياء، من كل مساءلة ومحاسبة عن الارتكابات حتى لو كانت بحجم نهب الدولة والمواطنين، ومخالفة الدستور، والنيل من سيادة الدولة في الداخل لمصلحة الدويلات، والتهاون بشأنها حيال الخارج الذي ترتهن له في السياسة والاقتصاد، وبه تستقوي في الصراعات الداخلية للحفاظ على الامتيازات أو لتعديل الحصص، ودائماً... على حساب مصالح الوطن والمواطن!

بسبب ذلك، ومن دون الحاجة إلى الاستطراد، يراوح لبنان في الأزمة القاتلة التي تفجّرت في 17 تشرين الأول 2019. رفضت منظومة السلطة التحاصصية أن تقدّم حتى كبش محرقة؛ لكي لا يشكّل ذلك سابقة محاسبة أو عقاب ولو رمزياً! هذا ما جسّده بقاء حاكم مصرف لبنان السابق في منصبه حتى اللحظة الأخيرة. أقيمت دعاوى ضده في ثلاث دول غربية. صدرت بحقه، أخيراً، مذكرات بحث وتحر، ظلّت من دون تنفيذ بداعي عدم معرفة إقامته، فيما كان يحتفل في البنك المركزي، مع مساعديه، مودّعاً بالهتاف وبطبل وزمر، وأمام عدسات وسائل إعلام حوّل معظمها إلى أبواق له على حساب المال العام، ووفقاً لمعادلة «أعطى من لا يملك لمن لا يستحق».

تواصل منظومة التحاصص والنهب ممارساتها في تعطيل المؤسسات وربطها بتنافس وصراعات فئوية أو موجهة من الخارج. ويدور الكلام هنا عن مواقع «سيادية» كرئاسة الجمهورية التي تتنظر الموفد الرئاسي الفرنسي الخائب لإخراجها من دوامة التجاذب والصراعات. أمّا رئاسة الحكومة، ففي حالة «تصريف الأعمال». وهي تسمية تصح فقط على الفترات القصيرة والاضطرارية وليس على أشهر وسنوات. في مجرى ذلك، تكثر النزاعات والاجتهادات بما يفوق طاقة الدساتير التي وضعت لمعالجات الاستثناء المؤقت على القاعدة، وليس الاستثناء الدائم الذي أصبح قاعدة وتقليداً لبنانياً عريقاً! تكثر، في السياق، التدخلات الخارجية الفجة والمهينة، كما حصل في قيادة الجيش: الموقع السادي الكبير هو الآخر!

تكابد أكثرية المواطنين الساحقة معاناة قاسية، و«بهدلة»، وقحة، بسبب الإفقار، وانعدام الخدمات الضرورية وغلاء المعيشة وغياب كل أشكال الضمانات وتردّي أوضاع القطاع التربوي التعليمي وهجرة الكفاءات... ما سيترك نتائج سلبية ضخمة على مستقبل البلد وأجياله الشابة. يجري كل ذلك وسط محاولة دؤوبة لحجب الخلل في النظام السياسي الاقتصادي، ووسط ضعف وهامشية متمادية لقوى المعارضة الوطنية ذات التاريخ العريق والمساهمات المشهودة.

لا بد من التنويه، أخيراً، بعلامة مضيئة، لقد ابتدع الشعب اللبناني، في خضم صراعه مع العدو الصهيوني، تجربة رائدة في حقل المقاومة والتحرير. تعرّضت هذه التجربة، في كل مراحلها لتآمر متواصل، من قبل الخارج والداخل. هي تكاد تتفرد، الآن، للشهر الثالث على التوالي، بممارسة واجب وطني وقومي وإنساني نصرة للشعب الفلسطيني البطل والمضحي والذي يتعرض لأبشع أنواع المجازر والإجرام والحصار والإبادة بهدف تصفية قضيته، ومعها ضرب كل نزوع تحرري لرفع الهيمنة الاستعمارية في المنطقة.

* كاتب وسياسي لبناني

قضية اليوم | مقاتلو الحرب الناعمة

صناعة قرار الحرب في الولايات المتّحدة تتخطّى البيروقراطيات التي تشغل البيت الأبيض والبنتاغون، وتعود إلى شبكة مصالح الأوليغارشيّة الأميركية نفسها التي تأتي بالإدارات المتعاقبة وتعمل في كواليس مؤسّساتها. وبالتّالي، استناداً إلى النظريّة اللينينية، فإنّ الحروب التّي ترعاها الولايات المتّحدة، ولا سيّما العدوان السافر على غزة، ليست حروباً عبثيّة، بل حروب تُشنّ وفقاً لحسابات الإمبريالية من الكلفة والرّبح التي تصوغها مراكز الأبحاث على شكل دراسات علميّة. تبرز، في دراسة الأوليغارشيّة الأميركيّة، ديكوتوميّة متكرّرة، تنعكس أيضاً ظاهريّاً في مشهد مراكز الأبحاث في واشنطن. فتجد منظّري التيّار اليميني «الأيديولوجي» في مقابل مفكّري التيّار الليبرالي «البراغماتي». لكنّ التّمايز بين الاثنين ليس إلا الفرق بين رموز الإمبراطورية الأكثر شهرة: «العم سام» وما يمثّله من عسكرة فظّة و«الّليدي ليبرتي» وما تمثّله من تحرّر مزعوم

كيف عسكر نتنياهو «تفكيريّي واشنطن»؟

من السمات الأبرز التي كان يمكن لحظها في حرب طوفان الأقصى، قدرة رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو على جرّ النخبة السياسية والإعلامية والأكاديمية الأميركية خلف روايته الخاصة لما حدث يوم السابع من تشرين الأول في مستوطنات غلاف غزة. مارس نتنياهو أكثر ما اتقنه على امتداد حياته السياسية، متسلّحاً بمنظومة مالية وأكاديمية ودعائية، وفّرت له الكثير من الأدوات التي سخّرها منذ 7 تشرين الأول، لتبرير حرب الإبادة التي يشنّها على غزة

علي حسن مراد

لكي نفهم كيف نجح رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو في جلب إيلون ماسك إلى مستوطنات غلاف غزة، متنكّراً لما كان قد عبّر عنه سابقاً من إدانة لجرائم العدو في غزة، ينبغي فهم ديناميات المصالح الرأسمالية واللوبيات الواسعة النفوذ في الولايات المتحدة، في قلب المصالح الشركاتية والأكاديمية والمراكز الفكرية والبحثية التي تستعمل «معاداة السامية» كسلاح ضد كل متعاطف مع الفلسطينيين، سنجد لمسة أو ظلاً لنتنياهو.

في 27 تشرين الثاني الماضي، نقلت وسائل إعلام صهيونية أنّ نتنياهو توجّه إلى أعضاء حزبه الليكود في اجتماع في الكنيست قائلاً: «أنا الوحيد الذي سأمنع قيام دولة فلسطينية في غزة وبيهودا والسامرة. أنا الوحيد الذي يستطيع الصمود أمام الضغوط الأميركية. أعرف بايدن منذ 40 عاماً، وأعرف كيف أدير الرأي العام الأميركي». وهو طبعاً كان يذكّر نواب حزبه بقدراته هذه، لقمع أيّ محاولة للإطاحة به من رئاسة الليكود، ولاحقاً من رئاسة الحكومة، وهذا أسوأ ما يخشاه حالياً مع نفاد الوقت المتاح أمامه لمحاولة التعويض عن إخفاقاته. لكن ذلك لا يلغي أنّ للرجل قدرات لا يستهان بها على تحريك نخبة رأسمالية في الولايات المتحدة، أمضى عقوداً في الاعتماد على سقوطها وتجنيد إمكاناتها لمصلحة معاركه الشخصية.

لنتنياهو قول شهير تناقلته الصحافة الإسرائيلية في نيسان عام 2008: «هجمات أيلول الإرهابية كانت جيدة لإسرائيل». هو كان يعبّر عن فكرة لطالما كانت في رأسه منذ سبعينيات القرن الماضي، ودوّنها في كثير من المحطات، كما في كتابه «الإرهاب: كيف يمكن للغرب أن يربح»، الذي نشره عام 1986. مستلهماً حادثة مقتل شقيقه جوناثان في عنتيبي في أوغندا عام 1976، أسّس نتنياهو عام 1979 معهداً في القدس المحتلة باسم أخيه (معهد جوناثان «لمساعدة الديمقراطيات في مكافحة الإرهاب الدولي»). وأظهر براعة وإتقاناً في ممارسة لعبة الإعلام أميركياً، فحرّض على الاتحاد السوفياتي بصفته «مصدر دعم الإرهاب العالمي» ومنظّمة التحرير الفلسطينية كرأس حربة له. وتمكّن «بيبي» من البروز في أوساط النخبة، ممتطياً ظهر الأكاديميا عبر معهده المذكور، ونشط في التحريض على السوفيات والفلسطينيين، وسرعان ما سلّط الإعلام الأميركي الضوء عليه وبدأ باستضافته. وقد أثبت نفسه كأحد الصهاينة القلائل الذين عرفوا كيف تؤكل الكتف إعلامياً في الولايات المتحدة، وهو ما عكسه في شبكة العلاقات المهمّة التي نسجها مع شخصيات ورجال أعمال وأكاديميين، وتنظيمه مؤتمرَين في القدس المحتلة عام 1979 وفي واشنطن عام 1984، حول ما يسمّى «الإرهاب».

بعد تعيينه نائباً لرئيس بعثة كيان العدو إلى الأمم المتحدة عام 1982، قاد ترؤسه البعثة عام 1984، وسّع نتنياهو نشاطه وقدراته على نسج العلاقات مستغلاً منصبه، حتى قال عنه جورج شولتز وزير خارجية رونالد ريغان إنّ «نشاطه العام وكتبه المتعلّقة بالإرهاب أثّر كل ذلك بشكل حاسم في صياغة السياسة الأميركية لمكافحة الإرهاب».

حكم الليكود في كيان العدو حوالي 34 سنة (بين عامَي 1977 و2023)، كان نصيب نتنياهو من الحكم فيها 16 سنة حتى الآن، حصّلها بفضل منظومة مالية أميركية مؤلت حملاته الانتخابية ووسائل الإعلام المحسوبة عليه، واستثمرت في اقتصاد الكيان بناءً على رغباته ومصالحه. وفي المقابل، استطاع أن يفرض على المجتمع الأميركي رؤيته وتفسيره الخاص لما يسمى «الإرهاب»، واستغلّ هذا «المُنجَز» لمحاولة التأثير على منظومة صنع السياسات الأميركية في الشرق الأوسط من خارج هياكلها التقليدية.

يحلول ثمانينيات القرن الماضي، كان اليمين الأميركي (والعالمي ضمناً) يعتمد على «الأربعة الكبار» من مراكز البحث والفكر، لإبراز قضاياه والضغط من أجلها في واشنطن. خلال إدارتَي رونالد ريغان (1981 - 1989)، كانت كل من مؤسسة التراث Heritage Foundation ومعهد المشروع الأميركي AEI ومركز الدراسات الإستراتيجية والدولية CSIS ومعهد هوفر Hoover Institute، تضغط لتبنّي رؤى اليمين الصهيوني في الصراع مع الفلسطينيين، إلى جانب قضايا اليمين المحلي والأوروبي. هذا الواقع دفع اليمين الصهيوني إلى التفكير لاحقاً بتأسيس مراكزه الخاصة، لعكس رؤيته لوظيفة مراكز البحث الدعائية التي تستطيع الوصول والتأثير على صنّاع القرار في البيت الأبيض.

«لطالما كانت مراكز الفكر تعمل لصالح الحكومات، والباحثون فيها يملكون القاب الدكتوراه لكن لا يعملون في التدريس. لقد فشل الأكاديميون في ميدان الدراسات الشرق أوسطية، ولهذا، أناس مثلنا يُعتبرون مفيدين لجهات محدّدة». هذه العبارة لنائب رئيس «مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات» مدير

> لطالما كانت مراكز الفكر تعمل لصالح الحكومات، والباحثون فيها يملكون القاب الدكتوراه لكن لا يعملون في التدريس

الأبحاث فيها جوناثان شانزر، كما وردت في وثائقي «الجزيرة» عن اللوبي الإسرائيلي في أميركا، الممنوع من البث عام 2018 (نشرته «الأخبار» عبر صفحتها على يوتيوب في 5 تشرين الثاني 2018).

كان شانزر آنذاك يخاطب ناشطين صهاينة انضموا لتوهّم إلى برنامج مخصّص لاستهداف حركة BDS، معلناً بذلك عن الدور المنوط بمؤسسته كأداة لوزارة الشؤون الإستراتيجية الصهيونية التي كان قد أعاد إحياءها عام 2009. وفق تصوّر حزب الليكود الصهيوني، كان الوسط الفكري في واشنطن بحاجة إلى مؤسسات تدّعي العمل البحثي والأكاديمي لتسييل المواد الدعائية والبروباغندا التي صاغتها حكومات نتنياهو في وجه أعدائها في قلب عاصمة صنع القرار العالمي. هذه الرؤية لدى الليكود لم تنطلق من مجرّد الحاجة إلى عمل مؤسّسي تقليدي تعتمده أذرع اللوبي الصهيوني المعروفة في وشنطن، بل استندت إلى أفكار «بيبي» الخاصة حول ضرورة عسكرة الأكاديميا والمراكز الفكرية بما يحقّق رؤية اليمين الصهيوني حول استغلال القوة الأميركية والاستفادة منها بما يخدم مصالحه.

شعار نتنياهو «مساعدة الديمقراطيات في مواجهة الإرهاب» الذي رفعه عام 1979، جرى تسييله عام 2001 في مشروع تأسيس مركز أميركي الهوية، ليكودي التوجّه، حمل اسم «مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات». اللافت أنّ المؤسسة أعلنت عن نفسها بالاسم المذكور في أواخر عام 2001، مباشرة بعد هجمات 11 أيلول، لكنها واقعاً تأسّست كمبادرة «تعليمية» في نيسان 2001، باسم «إيميت» (EMET «الحقيقة» بالعبرية)، كجزء من جهود كسب الدعم لكيان العدو إبّان الانتفاضة الفلسطينية، وسعياً لتقليل الغضب الشعبي إزاء الانتهاكات الإسرائيلية بحقّ الفلسطينيين. لكن ما ميّز هذه المؤسسة عن غيرها من مراكز الفكر والبحث هو أنّها كانت أول مركز بحثي يتبع مباشرة حزب الليكود الذي عمل على تجيير علاقات نتنياهو الأميركية لتكبير تجربة المركز المذكور، وجعله منظّمة فاعلة في طليعة أذرع اللوبي الفتّاكة، ففتّح أصدقاء نتنياهو الأميركيون الأثرياء خزائنهم لتمويل المؤسسة، إلى جانب مؤسسات ليكودية فرعية أخرى ظهرت لاحقاً.

وبما أنّ القانون الأميركي يتيح حسومات ضريبية على أصحاب رؤوس الأموال في حال تبرّعهم، عبر مؤسساتهم الخيرية التي لا تبغي الربح، لقضايا اجتماعية وثقافية وصحية ودينية، كان أصدقاء نتنياهو الجمهوريون، من أصحاب المليارات كبرنارد ماركوس وشيلدون أديلسون وبول سينغر ونيوتن بيكر وليونارد أبرامسون وغيرهم، يجودون بالملايين على «مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات»، التي سرعان ما حجز العاملون فيها مقاعد دائمة في جلسات الاستماع أمام أعضاء الكونغرس لدى مناقشة مختلف ملفات الشرق الأوسط. نتنياهو نفسه مثّل في 12 أيلول عام 2002 أمام إحدى لجان الكونغرس، في جلسة استماع لتحريض واشنطن على ضرورة غزو العراق، مؤكّداً امتلاك نظام صدام حسين أسلحة دمار شامل، ووجود علاقة له بتنظيم «القاعدة».

عقب حرب 1973، وما فرضته من وقائع جديدة في الصراع العربي - الإسرائيلي، أسّس المحافظون الجدد عام 1976 «المعهد اليهودي للأمن القومي في أميركا - JINSA»، كاول مركز بحثي صهيوني في واشنطن. آنذاك، عزا مؤسّسوه إنشاءه إلى «شعورهم بالقلق من أنّ الولايات المتحدة قد لا تكون قادرة على تزويد إسرائيل بالإمدادات العسكرية الكافية في حالة نشوب حرب عربية - إسرائيلية أخرى».

رغم وجود JINSA على الساحة في واشنطن، إلا أنّ اللوبي الصهيوني افتقد إلى مراكز بحثية متخصصة بالدعاية والبروباغندا. التفتت المنظّمة الأمّ للوبي الصهيوني في الولايات المتحدة المسماة «أيباك» في منتصف الثمانينيات إلى ضرورة أن يكون لها مركزها البحثي الخاص، لعكس رؤى الحكومات الصهيونية في واشنطن بشكل أكثر وضوحاً، إلى جانب شبكة النفوذ التي كانت «أيباك» - ولا تزال - تؤمّنها عبر الكونغرس والنخبة السياسية والمالية والأكاديمية الأميركية. وأسّست لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية AIPAC، عبر الصهيونيَّيْن مارتن إنديك وستيف روزن، «معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى» عام 1985، الذي شارك ولا يزال في التأثير من داخل المؤسسات الأميركية الرسمية في صياغة السياسات حيال ملفات الشرق الأوسط، خصوصاً الصراع مع العدو الإسرائيلي.

صحيح أنّ معهد واشنطن يُعتبر من كبريات مؤسسات اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، إلا أنه يتبع في سلوكه ونشاطه التوجّه الرسمي للكتلة الأبرز للوبي، المنضوية ضمن الحزب الديمقراطي. خلال نحو 40 عاماً من النشاط، ظهر جلياً كيف أنّ مراكز البحث الصهيونية اليمينية المتمثّلة بـ «مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات» تمايزت في خطابها ونشاطها عن معهد واشنطن، فالأخير مثلاً، لطالما تبنّى وجهة نظر الحزب الديمقراطي حيال ما يسمّى «حل الدولتين»، فيما «مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات» عبّرت ولا تزال عن رؤية اليمين الصهيوني الرافضة للاعتراف بأي شيء اسمه دولة فلسطينية، وهو ما يمكن لحظه في مواقف المركَزين، إذ تعتبر الأخيرة مثلاً أنّ حل الدولتين لن يكون ممكناً قبل إسقاط نظام الثورة الإسلامية في إيران، فيما يعتبر الأول أنّ الحل ممكن عبر تقوية السلطة الفلسطينية وتعزيزها، لتعود إلى حكم غزة إلى جانب ما تبقّى من الضفة الغربية، وهو توجّه تتبنّاه إدارة بايدن حالياً. ومنذ خطاب بايدن في 12 كانون الأول الجاري الذي انتقد فيه نتنياهو، تدور معركة بين الجانبين. فمثلاً، يشنّ مديرو مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات هجوماً على السفير الأميركي الأسبق في كيان العدو مارتن إنديك، كونه يصوّب على نتنياهو ويطالب باستقالته من منصبه، متّهمين إياه بتلقّي أموال من قطر، والتماهي مع من ساهم دعمه لحماس في حصول عملية «طوفان الأقصى».

نتنياهو في الكونغرس (من الويب)

عصارة أفكار واشنطن: عودة جابوتنسكي

رند وهبة

لا يزال عقل المستعمر الأميركي يحاول استعادة توازنه بعد صفعة «طوفان الأقصى». فهو يعترف بأن الفشل الاستخباري يطاوله ويطاول تفوّقه التقني والأمني، وبذلك فإن استعادة الردع في فلسطين تمتد إلى الإقليم، كما أن الردع ليس محصوراً بالعدو الصهيوني. يظهر ذلك من تخبط تحليلات مراكز التفكير وتوصياتها، رغم إجماعها كلها من يمينها إلى «يسارها» على الدعم الحديدي لحقّ العدو الصهيوني في «الدفاع عن نفسه»، وإجماعها على ضرورة إحياء جدار جابوتنسكي الحديدي صراحةً أو مواربة.

تمّ رصد مواقف 14 مركزاً منذ بداية الحرب، موزّعة في كتل ثلاث: أولاها الأقرب إلى موقف الإدارة الأميركية وتضم مجلس العلاقات الخارجية (CFR) ومعهد بروكينز ومعهد كارنيغي ومجموعة الأزمة الدولية (ICG) ومركز الأمن الأميركي الجديد (CNAS) ومعهد واشنطن. وثانيتها هي الأقرب إلى المحافظين والحزب الجمهوري، ومنها «هيريتيج» ومعهد المشروع الأميركي لأبحاث السياسة العامة (AEI)، وبينهما مركزا «راند» ومركز الدراسات الإستراتيجية والدولية (CSIS) المرتبطان بالمجمّع الصناعي العسكري (والأمني)، علماً أن الأخير يُعدّ بؤرة محاولات الإمارات العربية المتحدة للتأثير في صناعة القرار الأميركي. بالإضافة إلى مركزي «كاتو» و«كوينسي» اللذين يدّعيان محاولة ترشيد استخدام القوة والتوسع الإمبراطوريَّيْن للميركا.

أبرز القضايا الملحّة على أجندات هذه المراكز - في الشهرين الأوليْن من «طوفان الأقصى» والعدوان الصهيوني على غزة - تورّعت ضمن العناوين التالية:

المضاعفات الإقليمية والدولية

أغلب المراكز تخفي مخاوف توسّع الحرب، تحت مسمى الردع المتبادل، ولكنها تحذّر في الوقت نفسه من احتمال الانزلاق إلى حرب إقليمية بسرعة. من الاستثناءات البارزة في هذا الشأن، من يرى أن الطوفان «بروكينغز» ومركز دراسات الحرب (ISW). أما «هيريتيج» فقد ألقى باللوم على الصين لزعزعة الأمن الإقليمي! ورغم التخوف من التوسع، لم يتوانَ بعض المعاهد عن دعوة الكونغرس الأميركي والإدارة الأميركية إلى اتخاذ إجراءات عقابية خانقة ضد إيران، ومنها معهد AEI، وأخرى من بينها المجلس الأطلسي، أخذت في نسج التخيلات حول عجز الجمهورية الإسلامية عن تحشيد الرأي العام للوقوف إلى جانب فلسطين، وأن المحصّلة النهائية لهذه الحرب قد تأتي بنتائج داخلية تزعزع الأمن الداخلي فيها.

مخاطر إقليمية أخرى تمثلت بزعزعة التحالفات، إذ يهدّد غضب الشارع في دولة حليفة كالأردن المصالح الأميركية في المنطقة (ICG,Quincy)، والتهديد الأكبر يأتي من باب المندب على يد اليمن الذي يهدّد، بحسب معهد AEI، المصالح الأميركية، فيما تهديد أميركا بالعقوبات دليل على انعدام قدرة الأميركي على الردع في المنطقة.

معهد CNAS، بدوره، يدعو إلى توسيع الصراع على شكل تحالف إقليمي أو دولي لأن العدو غير قادر عسكرياً أو استخبارياً على القضاء على حماس، مع تخفيف وتيرة الحرب وإطالتها. أما المجلس الأطلسي فيجد أن انسحاب أميركا من المنطقة تسبّب بطوفان الأقصى (موقف يؤيده أيضاً معهد بروكينغز). ويعتبر أن على الولايات المتحدة تعزيز وجودها في المنطقة لردع التوسع الصيني (معهد AEI يرى أن الصين هي الرابح الأكبر). علماً أن تصعيد وتيرة الصراع قد يدفع إيران إلى خيار التسلح النووي الكامل. CFR بدوره يرى أنه - ربما - لا يجب على أميركا الخروج من المنطقة، وأن الطوفان وضع المصالح الأميركية في المنطقة ككل في خطر وأرجعها إلى الوراء، وأن شعبية الولايات المتحدة وقواعدها في خطر كما حصل بفعل الغضب الشعبي في تركيا على سبيل المثال. وأشار «معهد كاتو» إلى أن الدعم العسكري لعدو يأتي على حساب تايوان وإستراتيجيتها في منطقة المحيطين الهندي والهادئ لا على على حساب أوكرانيا كما يشاع، ما يجعل هذا الدعم أكثر تهديداً للمصالح الأميركية الجيوستراتيجية الأكثر أهمية من الشرق الأوسط بكل مشاكله.

عن «السيوف الحديدية»

هناك شبه إجماع حول فشل عملية «السيوف الحديدية» في تحقيق هدفها المعلن، أي القضاء على حركة حماس والمقاومة في غزة، وفي الوقت نفسه هناك إجماع على ضرورتها. أما في ما يخص «الكلفة» البشرية، فتتفاوت اللغة لكن المحصّلة واحدة، أي أن هناك من يتحدث صراحة عن إستراتيجية كيّ الوعي عن طريق العقاب والقتل الجماعيَّيْن للفلسطينيين، وأن العنف المفرط يضعهم أمام خيار واحد: التعايش مع كيان العدو. والأبرز في هذه الفئة معهد «هيريتيج» على لسان نائبة رئيس المعهد فكتوريا كوتس (مسؤولة أمن قومي سابقة في الإدارة الأميركية، كتبت مقالاً تشرح فيه أن نزيف جابوتنسكي كان محقاً ورؤيوياً). ومعهد CSIS الذي أكد الأمر نفسه على لسان جون الترمان. على «يسار» هؤلاء، نجد ماكس بوت من CFR متفائلاً بعض الشيء، بتحقيق العدو نتائج على الأرض على ظهر «كلفة» بشرية مهولة، في وصف مخجل لجرائم الإبادة في غزة.

جرائم الحرب وتبني السردية الصهيونية

هناك إجماع على إدانة طوفان الأقصى كعملية إرهابية وإنكار للمسؤولية الصهيونية عن قتل الكثيرين في يوم السابع من تشرين. الأمر نفسه ينطبق على استهداف المستشفيات والمدنيين وإطباق الحصار مع بدء العدوان الصهيوني، في تبنٍّ كامل للسردية الصهيونية بحجة استخدام المدنيين كدروع بشرية، وأن فكّ الحصار يشكل خط إمداد للمقاومة.

أكثر من ذلك، برّر ستيفن كوهين من «مؤسسة راند» قصف معبر رفح بتخوف العدو من تهريب الأسرى إلى خارج القطاع. واعتبر أن الغرب منافق ومجحف في انتقاده لدولة العدو مهما فعلت، وأن حروب العدو السابقة الأكثر ترشيداً والتي فشلت في القضاء، على المقاومات تلقّت النقد ذاته (يؤيد هذا الموقف كل من هيريتيج وCFR وAEI).

في ما يخص جرائم الحرب والمحاسبة عليها وتورّط الأميركيين فيها، هناك تشكيك كبير في صحتها والقدرة على إثباتها والمحاسبة عليها بالنسبة إلى «CFR». مع ذلك، هناك خطاب مراوغ من المجلس حول الدور الأميركي في ضبط الإجرام الصهيوني، «ICG» قلق بخجل حول المسؤولية الأميركية عن هذه الجرائم، بينما معهد كوينسي أكثر وضوحاً بالتورط الأميركي في الجرائم الصهيونية.

معهد كاتو وكوينسي بدورهما يدعوان أميركا إلى ابتزاز العدو من خلال شحنات السلاح لوقف الحرب، خوفاً على المصالح الاستعمارية بالمقام الأول. ويرى معهد كاتو أن انخراط الولايات المتحدة في هذه الصراعات النائية غير المجدية هو نتيجة المصالح الضيقة للقائمين على مجلس الأمن القومي في الإدارة (المسيطر عليه تاريخياً من قبل CFR). كوينسي بدوره يرى أن المجمّع الصناعي العسكري يشهد انتعاشاً كبيراً بفعل الدعم الأميركي للعدو.

وحول أمد الحرب ووقف إطلاق النار، برز معهد «هيريتيج» بتحذيره الحكومة الأميركية من فرض أي نوع من وقف إطلاق النار غير الناضج بالتوقيت الصهيوني، وأبدى CSIS تخوفاً من إطالة أمد الهدن الإنسانية، ورأى CFR أن العملية تحتاج إلى شهور. إلا أن الصور المروّعة من قطاع غزة تتفوّق على السردية الصهيونية وستؤدي إلى إيقاف العملية بشكل أسرع.

خطة اليوم التالي

ماذا عن اليوم التالي؟ الإجابة على هذا السؤال تظهر حجم التخبط في عقل الإمبراطورية، حيث تظهر التباينات حتى داخل المعهد الواحد، الجميع يتحدث عن السلام بعد الحرب، والجميع يتحدث عن الخطط المبنية على فرضية هزيمة المقاومة الفلسطينية رغم إجماعهم على استحالة ذلك، في هذا السياق يبدو الحديث عن هذه المشاريع نوعاً من الترفيه، إلا أن علينا أخذ سلاح المجاعة والأوبئة في الاعتبار لمحاولة فرض أي من المشاريع المطروحة، وهنا نورد بعضاً منها:

- مؤسسة راند: التهجير داخل القطاع أفضل الخيارات السيئة.

- AEI: إعادة الإعمار بإشراف هندي، إعادة إحياء سلطة تكنوقراطية على أيدي شخصيات من نمط سلام فياض وإشراف دولي.

- ICG: السلام ولكن ليس بالضرورة على أساس حل الدولتين وتليين المواقف الصهيونية بالتخلص من نتنياهو (بروكينغز أيضاً يرى أن إزاحة نتنياهو تفتح أفقاً لليوم التالي). يمكن لمصر أن تبدي ليونة حول خيار التهجير إلى سيناء تحت ضغط أزماتها الاقتصادية.

- معهد كارنيغي للسلام: لا يوجد يوم تال، مقترح لمبادرة سلام عربية ثانية على قاعدة حقوق الإنسان بعيداً عن حل الدولتين.

- CFR: لا يمكن للإدارة الأميركية جرّ العدو الصهيوني إلى حلوله لأن العدو يرى نفسه مهدداً وجودياً. لا يمكن إعادة السلطة على ظهور دبابات صهيونية، والدول العربية الحليفة غير مستعدة للتدخل و«التنظيف» من وراء جيش العدو، وبالتالي الخيار الأفضل خلق فترة فاصلة بين العدوان الصهيوني والتدخل العربي تملؤه المنظمات الأممية والدولية. أما الخطة الأكثر واقعية بالنسبة إلى العدو فهي احتلال ممتد زمنياً.

مستقبل التطبيع

بالنسبة إلى CFR، فإن التطبيع وتكامل كيان العدو مع دول المنطقة مصلحة إستراتيجية للأميركيين لضمان السيل الحر للبضائع والطاقة، ويرى المجلس أن الصراع الحالي يبطّئ التطبيع، لكنه لن يوقفه أو يقلب الحلفاء ضد أميركا.

معهد هيريتيج يؤكد أن السعودية لا تزال متوثّبة «للسلام»، بينما تشعر الإمارات بالإحباط بعد الاتفاقات الإبراهيمية من البرود الأميركي تجاه المنطقة. ويرى المعهد أن على الدول العربية تبنّي ضرورة الدفاع عن كيان العدو.

معهد CNAS يبالغ في التفاؤل بأن مشاريع التطبيع لم تتأثر على الإطلاق، بل إن حماس حاولت تخريبها فجاءت النتائج عكسية.

المجلس الأطلسي يرى أن تباطؤ مبيعات الأسلحة لشركاء أميركا في المنطقة آذى إلى تآكل الردع في وجه إيران، وأن دول الخليج ترتّب بتوتر وعيونها على أميركا وكيان العدو وإيران. ولدى الإمارات ودول التطبيع إحباط لشعورها بأنها حليف لا يستحق الإنقاذ.

معهد كاتو يرى أن خروج أميركا من المنطقة لا علاقة له بطوفان الأقصى، وأن مصلحة أميركا الوحيدة هي الخروج منها بأيّ ثمن.

تآكل القوة الناعمة

من أبرز الخسائر الأميركية والصهيونية وضوح صورة التوحّش أمام جماهير الشرق والغرب والجنوب على حد سواء. اللافت في هذا الشأن هو خطط استعادة القوة الناعمة. الأكثر تطرفاً طبعاً معهد «هيريتيج» الذي يريد ترحيل مؤيدي حماس من الأراضي الأميركية والاستعانة بهمجية تاتشر في قمع مؤيدي فلسطين في الغرب، ووضع الصهيونية كعدو لكل الشعوب الملوّنة باعتباره أن لا أحد يدعم فلسطين في الغرب سوى الملوّنين الدخلاء على الحضارة الغربية. أما CFR الذي يفترض أن يكون أكثر واقعية وبراغماتية، فيريد إعادة توجيه خطاب قناة «الجزيرة»، وإعادة تثقيف الشباب العربي والغربي لبناء إجماع حول كيان العدو ومصالحه.

بدوره رأى معهد كوينسي أن المهن المؤقتة واستكمال الحرب من بعدها، كل ذلك سيورّط أميركا أكثر في حرب إقليمية، وأن روسيا والصين ستستخدمان كل هذا الإجرام ووقوف أميركا بين ورائه للتوسّع أكثر إقليمياً، وكل هذا سيجعل من ولاء الأنظمة الحليفة بلا جدوى خصوصاً مع تصاعد الاحتقان والغضب الشعبيَّيْن.

قضية اليوم | مقاتلو الحرب الناعمة

مجلس العلاقات الخارجية في واشنطن

دائرة مغلقة ومصالح دائرية وباب دوار

رند وهبة

قولنا والعمل «ولكن لم يتغيّر الكثير منذ انتخاب الرئيس الجديد»، تُكرّر هذه التعليقات بعيد انتخاب كل رئيس أميركي (تقريباً)، ومردّ ذلك يكون دائماً «الدولة العميقة». لكن ماهيّة هذه الدولة تعامل بكثير من الغموض وكأنها تعمل بطريقة شبحية، والحقيقة أنها تعمل في العلن، ويمكن تلمّس أسلوب عملها بعيداً عن كل نظريات المؤامرة.

يُعدّ مجلس العلاقات الخارجية (CFR) أكثر مراكز التفكير تأثيراً في السياسة الخارجية الأميركية، وهو من أول المراكز التي أعلنت منذ تأسيسها بصراحة أن الهدف هو ضمان تمرير مصالحه بغضّ النظر عن نتائج الانتخابات الرئاسية الأميركية.

المركز يمثّل الطبقة المالية في الشرق الأميركي بشكل خاص، وشركات النفط والغاز والسلاح والأدوية. وهو يعمل على تنظيم التنافس الداخلي بينها، ويضع دراسات (تتبنى المذهب النفعي البحت) تظهّر مصالح هذه الطبقة في السياسة الخارجية على أنها قضايا أمن قومي ومصالح وطنية أميركية، وذلك عبر عملية بناء الإجماع.

إلا أن المجلس لا يحقق مصالحه ببناء الإجماع والأقوال فقط، بل يمررها بأقل ضجيج ممكن عبر تغلغله في السلطة التنفيذية بأشكال متعددة لا يمكن رصدها من خلال تتبّع تمويل الحملات الانتخابية، ومنها: المناصب والمجالس الاستشارية، مجموعات بحثية، اللجان المستقلة، استضافة المسؤولين الأميركيين والأجانب - حتى أولئك الذين تقاطعهم الإدارة وأحياناً بشكل سري - وأخيراً أكثرها مباشرة سياسة «الباب الدوّار».

المال والبنون: الدائرة المغلقة

يضم مجلس العلاقات الخارجية خمسة آلاف عضو تقريباً. لتصبح عضواً في نادي النخبة هذا، يجب أن يتم قبول طلبك من قبل مجلس إدارة - منتخب اسمياً ولكنه في حقيقة الأمر معيّن - يمثل نخبة النخبة المالية الأميركية المؤسِّسة؛ جي بي مورغان وديفد روكفلر وأندرو كارنيغي ولاحقاً هنري فورد. ولطالما عكست الهيمنة على المجلس مَن مِن هؤلاء هو زعيم هذه القلة الثرية المتركّزة في نيويورك. ففي البدايات كانت عائلة مورغان، وبعدها لعقود هيمنت عائلة روكفلر، وبعد الحرب الباردة وصعود شركات التحوّط بدأت الأخيرة في بسط هيمنتها على المجلس ابتداءً بجورج سوروس وبول سينغر وانتهاءً اليوم بلاري فينك. ما يزيد نخبوية المجلس هو سرية جلساته، حتى إن القانون الداخلي يقضي بأن يفصل مجلس الإدارة أي عضو يسرّب معلومات تمّ عرضها في الجلسات المغلقة.

بحسب كتابَي لورانس شوب حول المجلس واللذين يغطيان عمله منذ النشأة إلى عام 2017، فإن البنية الطبقية داخل المجلس شديدة العمودية، وتتركز الصلاحيات في مجلس الإدارة. كما أن علاقات القرابة بين الأعضاء تتركز بين النخبة المالية فيه. أما في ما يتعلق بالمناصب الإدارية التنفيذية، كرئاسة المجلس وإدارة الأقسام ورئاسة مجموعات البحث وغيرها من اللجان الفرعية، فعادة ما تُنسب إلى جيش «المحترفين» أو المهنيين، من الأكاديميين والموظفين السابقين - واللاحقين - في الإدارات الأميركية. ففي عام 2005، ضم المجلس 1254 باحثاً وزميلاً وبروفيسوراً وإدارياً جامعياً إلى جانب 496 مسؤولاً حكومياً. المحظوظون من بين هؤلاء سيتم دمجهم بالتماهي مع الأوليغارشية لتجديد دمائها. وإذا ما نظرنا إلى الخلفية الإثنية لأعضاء المجلس بالمقارنة مع التراتبية الطبقية، فسنجد أن ما يشاع عن تحكم اليهود بالخارجية الأميركية غير دقيق، وهو ناتج عن لبس يخلط الحقائق ببعضها.

تتشكل الطبقة الحاكمة في المجلس بغالبيتها من أثرياء الساحل الشرقي البيض البروتستانت، مع بعض العائلات اليهودية. أما منشأ الخلط فيأتي من الأسماء اللامعة التي صعدت من خلال عملها في المجلس، من أمثال كيسنجر وأولبرايت وبريجنسكي من بين آخرين كثر. لكنّ هؤلاء يمثّلون مجموعة أوسع من المهاجرين وأبنائهم، خصوصاً المهاجرين من أوروبا. والمجلس كأي مؤسسة استعمارية ينظر إلى هؤلاء كجماعة وظيفية يستفيد من خبراتها ومعرفتها بالدول المستهدفة، كما يوظّف عداءها المسبق لأوطانها الأصلية وروسيا كدافع ذاتي لخدمة الإمبراطورية. علاقة الدولة العميقة النفعي مع الجالية اليهودية كأقلية وظيفية تخدم الإمبراطورية في الوقت الذي تبدو فيه كأقلية مسيطرة هو النمط ذاته في علاقة الدولة العميقة مع كيان العدو الصهيوني.

الباب الدوّار ومحاسن الصدف

عدد القرارات المصيرية التي خرجت من رحم المجلس ومنظّريه في السياسة الأميركية يكاد لا يُعد ولا يُحصى. ولكن إذا ما نظرنا إلى عدد من أبرزها نجد أنه عادة ما يصدف أن المسؤولين عن تنفيذ هذه السياسات من مستوى الوزير إلى مستوى الإداري في الميدان مرتبطون في الوقت

> **تتشكل الطبقة الحاكمة في المجلس بغالبيتها من أثرياء الساحل الشرقي البيض البروتستانت**

نفسه بمجلس العلاقات الخارجية والمؤسسة أو المؤسسات الاقتصادية المعنية بشكل مباشر بهذا التدخل، منها الانقلاب على محمد مصدّق في إيران والانقلاب في غواتيمالا وحتى احتلال العراق بقضّه وقضيضه. الأمر نفسه ينطبق على إدارة ملف كورونا واللقاحات. وإذا نظرت إلى رؤساء البنك الدولي ستجد أن سيرتهم الذاتية تشمل: العضوية في مجلس العلاقات الخارجية، تسلّم المناصب الحساسة في الوزارات التي يهيمن عليها المجلس، والعمل لدى إحدى الشركات التابعة لروكفلر وبنك «تشايس مانهاتن». المجلس هنا لا يكتفي بالبحث وبناء إجماع حول «المصالح الوطنية» لتنفيذها، بل يرسلها مع «مرسال»، عليه التطبيق، وفي حالات تمّ توثيقها لم يتكلف عناء البلاغ، أي أن بعض السياسات تم تمريرها من خلال الوزارات المعنية بالتنسيق مع المجلس، بتعتيم مدروس على المسؤولين المعنيين.

تغلغل المجلس في السلطة التنفيذية الأميركية صادم. فمنذ صعود نجمه خلال الحرب العالمية الثانية إلى اليوم، هيمن على وزارات الدفاع والخارجية والخزانة (عند الضرورة هيمن على وزارات الزراعة والتجارة والصحة وغيرها) إضافة إا الأمن القومي والاستخبارات (كان ألان دالس وهو من أهم رجالات المجلس أحد أول مدرائه، وكان أخوه وزيراً للخارجية، والأول كان يقول ممازحاً إنه على رأس وزارة الخارجية للدول غير الصديقة)، كذلك الأمر بالنسبة إلى ممثلي الولايات المتحدة في المنظمات الرئيسيّة للنظام العالمي التي أنتجها المجلس، ومنها البنك الدولي، الأمم المتحدة، حلف الأطلسي، كل هذا على سبيل المثال لا الحصر، إذ إن هناك أيضاً لجاناً رديفة لهذه الوزارات يسيطر عليها المجلس.

يظهر الجدول هيمنة المجلس على قمة هذه الوزارات. أما في ما يخص المراتب الدنيا في هذه الوزارات والمؤسسات، فإن مهمة رصدها بالكامل شبه مستحيلة. بحسب شوب، سيطر المجلس على 80,2% من المناصب العليا في الخارجية الأميركية بين عامَي 1976 و2014، وأن 70,8% من الأجسام الاستشارية والمجالس السياسية العليا في الوزارة حازت على تمثيل قوي من المجلس، وهذا من المؤشرات الدالة على أن لا نظير للمجلس في التأثير على السياسات الخارجية الأميركية.

سياسة الباب الدوّار لا تتوقف بين مجلس العلاقات الخارجية والمناصب الحكومية، فهناك أبواب دوّارة بين المجلس ومراكز التفكير الأخرى، ومنها ما هو ليبرالي مالي معولم مقرّب منها يموّلها أو تموّله، مثل كارنيغي أو مجموعة الأزمات الدولية أو مؤسسة المجتمع المنفتح (عدد المجالس والمؤسسات والمنظمات المتفرعة من المجلس والتي يديرها رجاله غير قابل للحصر). ومنها ما يمثّل مراكز قوى اقتصادية أخرى مثل مؤسسة راند التي تمثل المجمع الصناعي العسكري، خصوصاً المتعلق بسلاح الجو، أو مركز الدراسات الإستراتيجية الذي يمثّل مصالح المجمّع الصناعي العسكري والأمني عموماً، أو المجلس الأطلسي الذي يمثّل حلف الأطلسي. كما يمتد الأمر إلى مراكز التفكير اليمينية، وإن بتواتر أضعف، مثل معهدَي أسبن وهيريتيج. وهناك أيضاً معهد كوينسي (تأسّس عام 2019) الداعي إلى مزيد من الانضباط في السياسة الخارجية الأميركية وإعطاء الأولوية للقوة الناعمة في إنفاذ المصالح الأميركية في الخارج. وأكثر ما يلفت هنا هو أن الأخير يجمع كل الحلفاء والشركاء التقليديين لمجلس العلاقات الخارجية وألدّ أعدائه من اليمين المحافظ.

يتسلّل مجلس العلاقات الخارجية عبر الباب الدوّار إلى مراكز تفكير أوروبية أيضاً. ولا يتوقف الأمر هنا. فللمجلس باب دوّار مع عدد لا يُحصى من الشركات والأعمال والمؤسسات الإعلامية الكبرى والجامعات والمنظمات غير الحكومية، إضافة إلى تغلغله في حكومات أغلبها في فلك الولايات المتحدة عبر عضوية السياسيين ورؤوس الدول في أجسام متفرعة من المجلس، منها مجموعة بيلدربيرغ والهيئة الثلاثية ومجلس المجالس، ومنتدى دافوس.

المصالح الدائرية: اقتصاد بلا فتات

لطالما روّج دعاة الاقتصاد الحر ومنظّروه بأن حرية الاقتصاد المتفلّت من أي رقابة ودور اجتماعي للدولة ستعود بالنفع على الفقراء عبر سقوط الفتات إلى الأسفل.

هذه الأوليغارشية التي يمثّلها المجلس كالجراد، لا تكتفي برسم السياسات التي تخدم مصالحها الاقتصادية - وهي بطريقها تدمر المجتمعات - من خلال تعيين رجالها في المناصب الحرجة في الإدارة الأميركية. بل يقوم هؤلاء بخدمة الأوليغارشية حتى بعد خروجهم من الخدمة الحكومية. مثالٌ عن هؤلاء تيموثي غيثنر، وزير الخزانة في عهد باراك أوباما. خلال توليه المنصب كانت غالبية اتصالات الرجل الهاتفية مع رجال المجلس، خصوصاً رؤساء المؤسسات المالية منهم، وعلى رأس هؤلاء لاري فينك رئيس الشركة الأضخم في العالم بلاكروك (وفينك من مدراء مجلس العلاقات الخارجية السابقين). هنا لا بد الإشارة إلى أن صعود بلاكروك الصاروخي جاء بعد أزمة 2008 والتي أدارت شركته خلالها حزم الدعم الحكومية التي أنقذت المصارف (التي ينتمي أغلبها إلى المجلس أيضاً ونهبت منازل ومدّخرات المواطنين البسطاء). وبعد خروجه من منصبه، وخلال 3 أشهر فقط، قدّم عن طريق المجلس 3 محاضرات لثلاث من المؤسسات المالية الرئيسية في المجلس حول سياسة الاحتياطي الفيدرالي والمخاطر الجيوسياسية، وتقاضى لقاء هذه الساعات القليلة 400 ألف دولار!

هنا تبرز فائدة أخرى أكثر حساسية لسياسة الباب الدوّار، وهي احتكاره لكمّ هائل من المعلومات الحساسة حول السياسات الاقتصادية والدولية المؤثّرة على عالم الأعمال، وهي من الخدمات التي يقدمها المجلس لأعضائه إلى جانب الدراسات الإستراتيجية لكيفية توسيع أعمالهم عالمياً. وفي هذا السياق يبرز نوع آخر من المؤسسات الاستشارية المالية الدولية التي يديرها أعضاء بارزون سابقون من قبيلة الباب الدوّار، منها مؤسسات لأولبرايت وكيسنجر ورايس وكوهين. تقدّم هذه المؤسسات خبرات أسمائها اللامعة في عالم السياسة الخارجية لمساعدة الشركات العابرة للحدود في تخطّي قوانين وحكومات الدول التي تريد اختراقها، بلغة مواربة ولكن واضحة الدلالة في آن. وتروّج هذه المؤسسات لخدماتها بأنها ستساعد العملاء على تخطي سيادة الدول وخرق القانون، إما عن طريق الفساد أو العلاقات الشخصية وغيرها من الأعمال المشينة التي لا تليق بالرجل الأبيض، إذ إنه يقوم بها تحت مسميات أخرى (Lobbying، networking، leveraging...). وهنا من المهم التنويه بأن الطاقم الرئيسيّ في هذه المؤسسات بالإضافة إلى الزبائن الكبار هم أيضاً من أعضاء المجلس.

ختاماً وعودة إلى مسألة الفتات، من الجدير بالذكر أن الأجيال السابقة من حاكمية المجلس على رذالة أعمالها، كانت تمثّل المصارف وهي طبعاً تقوم على الإقراض للنهب، ولكنها قياساً بالجيل الجديد من النخبة المالية المتمثّلة بشركات التحوّط تبدو مفرطة الرحمة، فنسور التحوّط لا تربح إلا بالرهان على رؤيتك ذبيحاً.

بايدن وحكومته (من موقع البيت الأبيض)

البيانات الكاملة على موقعنا

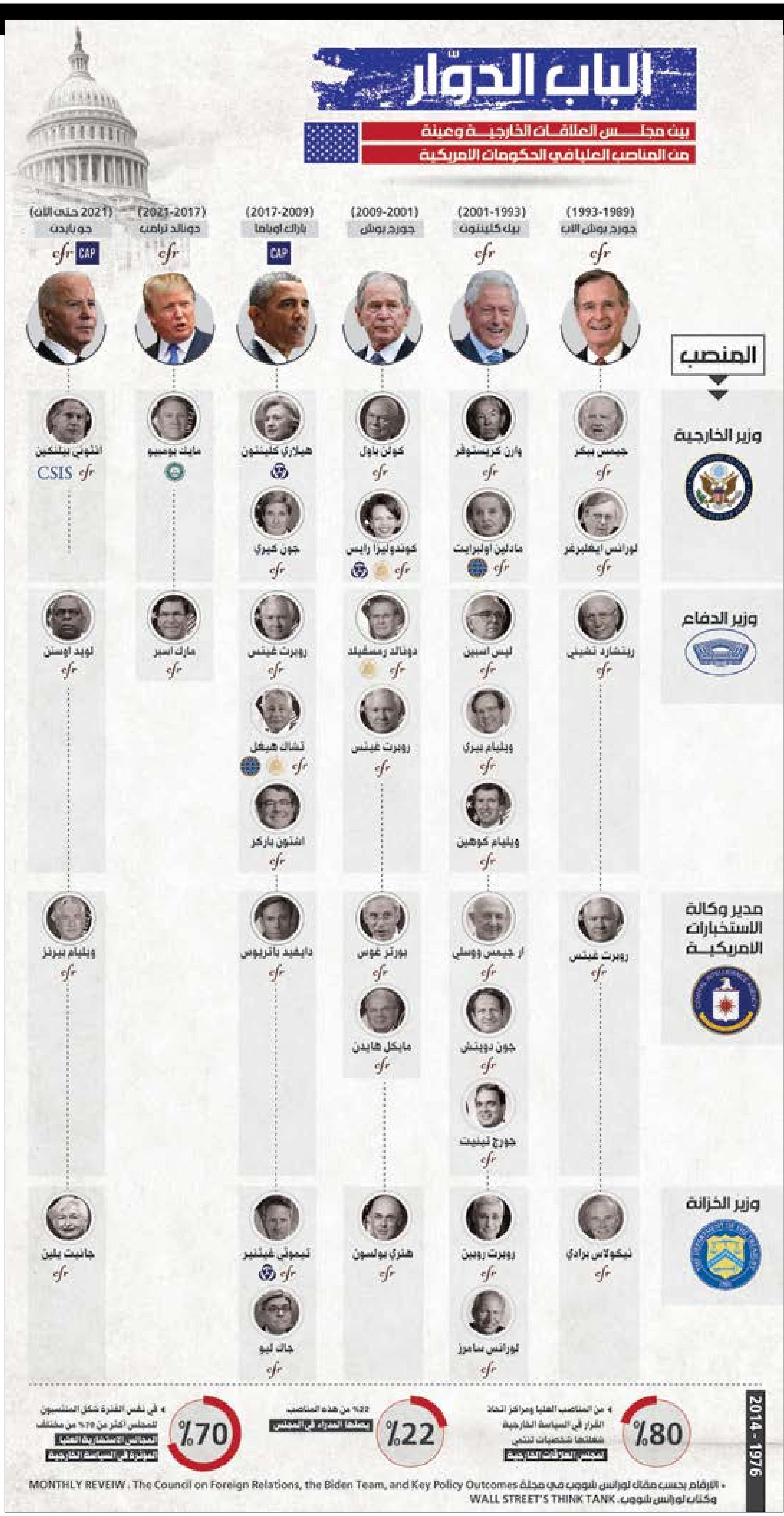

الأخبار al-akhbar
السبت 30 كانون الأول 2023 العدد 5097

في وداع 2023

رأس السنة على الشاشات: ساحة «حرب» بين المنجّمين

زكية الديراني

سنوياً، تتسابق القنوات اللبنانية على تقديم سهرات «خجولة» تحتفل من خلالها بحلول العام الجديد. لا تحمل البرمجة المخصصة لرأس السنة أي جديد، باستثناء إطلالات «العرّافين» الذين يستعرضون توقعاتهم أمام المشاهدين، فتستحيل مصدر سخرية وتندّر على السوشال ميديا. هذا العام، لا يبدو أن الواقع سيختلف كثيراً، إذ ستكون السهرات باهتة، مع حضور لافت للحدث الفلسطيني.

ما يجمع بين الشاشات المحلية هو التشابه في برمجتها المخصصة لاستقبال عام 2024. البداية مع نهار ترفيهي طويل يتخلّله تلقي الاتصالات الهاتفية من المواطنين وتوزيع الجوائز. أما مساءً، فتتحول السهرة إلى ساحة «حرب» بين «البصارين» و«المنجّمين» الذين يتنافسون على نشر توقعاتهم للعام الجديد. بالطبع، سيركّز الجزء الأكبر والأهم من التوقعات على العدوان الإسرائيلي على غزة الذي دخل شهره الثالث، إذ سيتنافس العرّافون في تقديم تحليلات سياسية وميدانية للمعارك الدائرة في الأراضي المحتلة.

في هذا السياق، تستهلّ قناة mtv يومها غداً الأحد بإطلالة طوني بارود الذي سيتلقى اتصالات ويوزّع الجوائز المالية. وكعادتها، تتفرّغ القناة المحلية مساءً لمحاورة ميشال حايك في حلقة تديرها رانيا زيادة أشقر، وتبث مباشرة بعد نشرة الأخبار. وفي الإعلان الترويجي للحلقة، يطلّ حايك شارد الذهن، قائلاً: «ثلاثية بالدم الروح نفديك يا أقصى لن تكون مجرّد شعار، بل ستكون كل المعركة. سيتزامن الحدث مع عيد يهودي، يستيقظ العالم في المرحلة المقبلة ليرى نسخة جديدة من جدار برلين على أرض فلسطين».

هكذا، يركب حايك موجة «ترينـد» المحللين السياسيين حول حرب الإبادة الإسرائيلية على غزة، لجذب انتباه المشاهد الذي تستحوذ التطوّرات الأخيرة على جلّ اهتمامه. علماً أنّ حايك بات ضيفاً حصرياً في mtv يطلّ عبرها سنوياً بجردة توقعات طويلة تشمل دولاً عربية وأجنبية وبعض الشخصيات. وطبعاً، دائماً ما تكون البداية مع تقرير يستعرض ما تحقّق من توقعات العام الماضي، قبل أن يخرج علينا الضيف بجديده.

سجّلت ماغي فرح مقابلة مع رودولف هلال على lbci

من جانبها، لن تغيب ليلى عبد اللطيف عن قناة «الجديد». بعدما أطلت في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي في حلقة مع نيشان، سيُعيد الأخير محاورتها ليلة رأس السنة، على أن تكون الحصة الأكبر للحدث الفلسطيني. وتكمل «الجديد» سهرتها مع غريس الريّس التي تطلّ في حلقة فنية مع المغني السوري علي الديك. علماً أنّ الثنائي سبق أن نجحا في برنامج «غنّيلي تَ غنّيلك» عبر الشاشة نفسها في عام 2014.

أما lbci، فتودّع عام 2023 بيوم طويل مليء بالألعاب والجوائز، تلقي خلاله مهمّة تلقّي اتصالات المشاهدين على عاتق وسام حنا منذ ساعات الصبح الأولى حتى المساء. وبعد نشرة الأخبار المسائية، تفرج lbci عن باقة من البرامج الفنية والترفيهية، أبرزها مقابلة سجّلها رودولف هلال مع عالمة الفلك ماغي فرح، تتوقف فيها عند أهمّ توقعات الأبراج لعام 2024، فضلاً عن تطوّرات المرحلة المقبلة، وتحديداً في فلسطين.

لن تكون برمجة otv بعيدة من هذه الأجواء، إذ ستكون البداية مع البرنامج الصباحي «يوم جديد» الذي يسلّط الضوء على أمنيات المواطنين للعام الجديد. ثم يقدّم شربل بو أنطون الفقرة الترفيهية التي تتخلّلها جوائز كثيرة، ليطلّ مساءً العرّاف مايك فغالي في حلقة خاصة يستعرض فيها توقعاته.

شخصيّات العام

بول مخلوف

كيف يمكن أن تكون افتتاحية العدد الأخير لهذا العام؟ ستكون الخطوة أسهل لو كانت خاتمةً بدلاً من كونها تقديماً. أن تُكتب بطريقةٍ ارتجاليّة وعفوية، تقول كلمتها وتمشي، كما يتكلم ذلك المتأرجح بين النوم واليقظة: في ضرب اللغة بعرض الحائط، نصّ لا فاصلة فيه، ولا نقطة. لا علامة «تنصيص» ولا علامة ترقيم! يخرج عن قواعد الصرف والنحو. غير مهتم بالفصاحة. مهتم بالفصاحة جداً وبالفذلكة أيضاً. عنيف وهاذر. ملتبس مثل أدوار المنظمات الحقوقية وغامض كالأنفاق. دراميّ بسبب مجازر ارتُكبت - وما تزال تُرتكب - وملحميّ كمفعول الياسين 105. راجف كهزة أرضية وجازم كالصوت الخفيض الرزين الهادئ الذي يعلن النصر من الراديو. يعني نصاً يتماهى حد الامّحاء مع أحوال ذلك العام (التي لم تنتهِ بعد أثناء كتابة هذه السطور) وماضيه. عام 2023 الذي بدأ بزلزالٍ ولم ينتهِ بحربٍ سترسم ملامح المستقبل. العام نفسه الذي صدر في بداياته ملحق إنّما، وكانت نهاية وباء كورونا وفقاً لما أعلنته منظمة الصحة العالمية. العام الذي أطلّ علينا فيه كثير من الأبطال، والمهرجين، ودخلت إلى معجمنا كلماتٌ جديدة، وكلمات أدخلناها إلى المعجم من دون أن تكون ترند، لأن ترند بذاته لوثة لا شفاء منها: معليش.

لقد كان عاماً مليئاً بالموت، بالجثث تحت الأنقاض، بألعاب البلاستيك التي طُمست مع الأطفال ومع المدينة تحت الحطام، بجنون الأرض، وجنون المقاومة، وجنون العقل، بالطيران فوق الجدران، بانتصارات ستتحوّل إلى نصرٍ مدوٍّ رغم هول الفاجعة والموت السريع، بالمغامرات الصعبةً، بطرق مجهولة، بجديّة أكثر وضجر أقلّ، بافتتاحيات وثيماتٍ ومواضيع وساعات لا تُعد ولا تحصى نقرأ ونشاهد فيها من وراء الشاشات. لقد كان عاماً مليئاً بشخصياتٍ شكّلت انعطافاً فارقاً أو كانت بشكلٍ من الأشكال ظواهر نوعية. وقد يجوز، عزيزي القارئ، أن تكون أيضاً واحداً من شخصيات هذا العام، أقلّه بالنسبة إلى كتّاب هذا الملحق، المهجوسين بمخاطبتك ومحاكاتك فجر كل سبت.

وفقاً لتصنيفٍ تتخلّله الاعتباطية، ولكنّ نصفه الآخر مدروس، ارتأينا ترتيب شخصيات هذا العام. ستتعرف إليهم في هذا العدد رغم أنّك تعرفهم جيداً. هناك من حضر جرّاء ارتفاع أسعار الكيتش في بورصة الفن، وهناك من خرج من السيرك وفسّر العالم بالسحر. هناك من وُلد في السابع من أكتوبر، وهناك من تعرّض لمحاولات قتلٍ عدّة بسبب السابع من أكتوبر، وقد نجا وما زال صوته رزيناً هادئاً خفيضاً. لن نُطيل في كتابة هذه المقدمة ولن نسير على خطى الترند ونعدّ الثواني الأخيرة عكسياً حتى نبدأ عاماً جديداً. سنكتفي بمعايدة الجميع، وبالأخص الفلسطينيين، والمقاومين، وأعداء إسرائيل، فهؤلاء هم شخصيات الأعوام كلّها.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 30 كانون الأول 2023
العدد 5097 السنة الثامنة عشرة
Samedi 30 Decembre 2023 nº 5097 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

موت 247 *

رفعت العرعير

«قم، قم، أيها الكسول
فلدينا عمل، كثير من العمل»

لا يوظّف الموت في أي مكان في العالم
بكلّ هذا الإبداع كما في غزّة
فالموت يؤمن بالتنوّع
أطنّ أدوي أجلجل
أسقط مع المطر
أنتشر مع الهواء
أندفع كالماء
أومض مع السحر
ولا أرحل قبل أن أتأكد
من أنّي أحمل أرواحاً كثيرة
آخذ الأطفال زرافات ووحدانا
وحين أستريح أخيراً
أضرب صدري
هكذا
وأتأمل ألا أذهب إلى العمل في اليوم التالي

يسرف الموت في الإنكار

بالرفسات والهراوات أستيقظ
وأذهب إلى العمل

عامر شوملي ـ «الإطار المذهّب» (أكريليك على كانفاس ـ 100 × 140 سنتم ـ 2013)

* قصيدة للكاتب الفلسطيني رفعت العرعير (1979 ـ 2023) الذي استُشهد في السادس من كانون الاول (ديسمبر) في ضربة جوية نفذتها القوات الإسرائيلية على منزل شقيقته شمال غزة. وقد ترجم القصيدة إلى العربية الشاعر والروائي العراقي سنان انطون

طوفان الأقصى

على خطى «مورفيوس» الذي أيقظ الناس من عالم «الماتريكس»

المقاومة الفلسطينية تُعيدنا إلى «صحراء الواقع»

تهاني نصّار

منذ عملية «طوفان الأقصى» في السابع من تشرين الأول (أكتوبر) 2023، والمقاومة الفلسطينية تحقّق أهدافاً جمّة ومتنوّعة لا يمكن حصرها فقط في الجانب العسكري من حيث التخطيط العبقري والتنفيذ المذهل، وعدد الأسرى الذين احتجزتهم، واستهداف جنود الاحتلال الذين تعمّدوا قصف بيوت المدنيين وقتل الغزّيين وقنص المسنّين والأطفال. نجحت المقاومة أيضاً في دحض السرديات الصهيونية المتعلّقة بالحرب عبر إعلامها والصور التي تنشرها يومياً من أرض المعركة، في حين كان جيش العدو يحاول تقديم واقع وهمي لا أصل له عن هذه المعركة عبر خطابات مسؤوليه وفبركة الصور والتضليل الإعلامي والافتراضي، فجاءت المقاومة الفلسطينية متصدّية لتضليلاته وكذبه.

تقدّم هذه المقالة طرحاً مفاده أنّ «كتائب القسام» لعبت دوراً شبيهاً بما فعله «مورفيوس» في فيلم «ماتريكس» الشهير (1999)، متتبّعة عبارة الفيلسوف الفرنسي جان بودريار: «مرحباً بكم في صحراء الواقع»، لتظهر للقارئ الفارق بين الواقعين: المصطنع والحقيقي، وكيف استطاعت المقاومة إيقاظ الجميع من الوهم الذي اصطنعه الاحتلال لمجتمعه ولكل العالم.

في فيلم «ماتريكس»، حين يلتقي «مورفيوس» (لورانس فشبورن) الذي يمثّل دور قائد مجموعة المقاومة/ الأحرار خارج سيطرة نظام الماتريكس، بالبطل «نيو» (كيانو ريفز)، يجيبه على سؤاله المتعلّق بماهية الماتريكس: «إنها في كل مكان، موجودة حولنا باستمرار. بإمكانك رؤيتها من نافذة الغرفة، أو حتى عندما تشغّل التلفزيون. إنها العالم الذي يُغطي عينيك لخداعك، حتى يعميك عن الحقيقة».

يسأله نيو عن أي حقيقة يتحدّث، فيجيبه: «حقيقة أنك عبدٌ يا نيو، مثل أي شخص آخر. لقد وُلدتَ في العبودية، وُلدتَ في سجنٍ لا يمكنك شمّه، تذوقه، أو حتى لمسه، سجنٌ لعقلك». يمنح مورفيوس نيو حرية الاختيار، عارضاً عليه أن يتناول إحدى الحبّتين: «هذه فرصتك الأخيرة، لا يمكن الرجوع بعد هذه اللحظة. إذا أخذت الحبة الزرقاء تنتهي القصة وتستيقظ في فراشك مصدقاً ما تريد تصديقه. وإن اخترت الحبة الحمراء، تبقى في ووندرلاند وسأريك مدى العمق الذي يمكن أن يصل إليه جحر الأرنب».

تمثّل الحبة الزرقاء اختيار البقاء في الماتريكس، الواقع الوهم والخادع، الاصطناعي أو الـ Simulation وفقاً لتعبير الفيلسوف الفرنسي جان بودريار (1927-2007)، فقد كانت صاغت الفيلم الأختان وتشاوسكي متأثرتين بنظريات بودريار وكتابه «المصطنع والاصطناع» (Simulacra and Simulation)، الذي يظهر في الفيلم أيضاً (راجع ملحق «كلمات» 2023/12/23). يُمنح «نيو» فرصة البقاء في هذا الواقع الوهمي الذي خلقه الذكاء الاصطناعي للسيطرة على البشر وعقولهم، أو رؤية الحقيقة عبر تناول الحبة الحمراء التي ستجعله يرى الواقع الفعلي من دون تأثير الماتريكس. إنّ اختيار اللون الأحمر للحبة ذات التأثير الواقعي لم يأتِ عبثياً، فالأحمر في نظرية الألوان هو لون قوي ظاهر يرمز إلى القوة والثقة والاندفاع، ويوصف بأنّه physical color، أي يحثّ على الحركة والاندفاع للقيام بفعل أو تغيير. كما اعتمدته حركات ثورية كثيرة في العالم في شعاراتها؛ فالتغيير الفعلي يأتي عبر الثورات، وأحياناً كثيرة بالعنف والحرب والدم. أمّا الأزرق، فيُعدّ لوناً بارداً قد يوحي أحياناً بالهدوء والسلام، لكنه يرتبط بالحزن والكآبة ويدفع بالمتلقّي إلى الارتخاء.

«مرحباً بك في صحراء الواقع»، يقول «مورفيوس» لـ«نيو» حين يستفيق من الواقع الافتراضي الذي بناه الماتريكس للبشر. يرى الحقيقة كما هي: جغرافيا مهجورة مرّقتها الحرب لكنها مذهلة بواقعيّتها. استعار صنّاع العمل العبارة من المنظّر الثقافي جان بودريار حين وصف بها «الواقع المفرط» الذي نعيشه اليوم بسبب تطوّر التكنولوجيا والتدفق السريع للصور والفيديوات المعالَجة والخاضعة للتعديلات والتغييرات عبر وسائل الاتصال الجماهيرية. هذه الصور والأخبار التي يُفترض أن تكون نسخة عن الواقع تقدّم «تمثيلاً مخلصاً» يشبهه إلى حدٍ كبير، نجدها بفعل المؤثرات البصرية والرقمية والإضافات الافتراضية من رموز وذكاء اصطناعي وغيرهما، لا تهدّد الواقع الأصلي فقط، بل أيضاً تحاكي واقعاً مُختلقاً لم يعد له أي صلة بالحقيقة. كان بودريار قد كتب في الأصل: Welcome to the desert of the real، معلّقاً على قصة قصيرة للكاتب الأرجنتيني خورخي بورخيس تتحدث عن خريطة أمر أحد الملوك رسمها بدقة لإمبراطوريته حتى انتهى بها المطاف أن جاءت بحجم مساحة الإمبراطورية نفسها. يشرح بودريار أنه مع مرور الزمن وانحدار الإمبراطورية ومجيء الأجيال اللاحقة وغيرها من العوامل، لن يعود الفارق بين الخريطة والإمبراطورية واضحاً، ولن نستطيع بعدها فصل الاثنتين أو التمييز بين الأصل والرمز/ الصورة؛ وهذا ما يطلق عليه تسمية «الواقع المفرط». تأثر الفيلسوف السلوفيني سلافوي جيجيك (1949) أيضاً بعبارة بودريار واستخدمها عنواناً لكتابه «مرحباً بك في صحراء الواقع» (2002) الذي يدور حول أحداث 11 سبتمبر وعودة الأميركيين إلى الواقع. اعتبر جيجيك أن تفجير برجَي التجارة العالميين كان حدثاً صادماً أيقظ الأميركيين من سباتهم وعالمهم الافتراضي وأعادهم إلى الواقع.

في العودة إلى العدوان على غزة و«معركة الطوفان»، نسأل عن الواقع المفرط الذي يقدّمه الاحتلال الصهيوني بحكومته وخطاباته وإعلامه الكلاسيكي والرقمي، وكيف جاءت ردة فعل المقاومة الفلسطينية على ذلك الواقع. هل كانت عملية «طوفان الأقصى»، وما تبعها من إنجازات عسكرية وإعلامية، الحبة الحمراء التي أيقظت الشعوب العربية والعالمية من سبات العالم الافتراضي إلى «صحراء الواقع»؟

قبل «طوفان الأقصى»، كان الكيان الاستيطاني في فلسطين يُظهر فائض قوة، معتبراً أنه بالدعم الغربي والعالمي لوجوده، قد اقترب من التخلص من «المشكلة الفلسطينية». كان ذلك يظهر جلياً ليس فقط في غطرسته العسكرية تجاه الفلسطينيين، بل أيضاً في معاهدات السلام والتطبيع مع بعض الدول العربية، والأهم في سياسته الداخلية التي تحكم البلاد. يشرح المؤرخ اليهودي المعادي للصهيونية إيلان بابيه في محاضرته في جامعة «يو سي بيركلي» (راجع الأخبار 2023/11/4) أنّ «الحرب الأهلية الثقافية» في الكيان بين المتديّنين والعلمانيّين كانت قد برزت في السنوات الأخيرة، وخصوصاً في التظاهرات الحاشدة التي خرجت للاحتجاج على تعديل الدستور، وعلى نوع الحياة اليهودية بين ديومقراطية علمانية تعددية على النسق الأوروبي، ويهودية مسيحية ثيوقراطية. لكن الالفت أنّ قضية الاحتلال والوجود الفلسطيني العربي لم تكن من بين القضايا المطروحة لأنّه كما أشار بابيه نقلاً عن الصحافية عميرة هاس في «هارتس»: «طالما أنّ الإسرائيليين غير قلقين، فإن الاحتلال غير موجود، بمعنى أنه لم يعد مشكلة بعد الآن، بل جرى حلّها». كان العدو الصهيوني يصدّر باستمرار صورته إلى الغرب من تطوّر تكنولوجي وتقني وتحضّر وعلم وسياحة ودينية و«ثقافية»، مخاطباً الشعوب الغربية بأنّه مثلها يتمتع بنمط حياة غربي، مثلما استضاف مسابقة ملكة جمال الكون (2021) وأخذ المتسابقات في جولات سياحية داخلية شاركنَ خلالها في تحضير أطباق البلد التقليدية (الأطباق الفلسطينية طبعاً مثل المسخّن وورق العنب) وتصوّرت كل منهن في أثواب فلسطينية مختلفة التطريزات. كان الاحتلال يستغل تاريخ الاضطهاد الأوروبي لليهود في الحرب العالمية الثانية (وما قبلها)، ويقدّم نفسه بدور الضحية حتى يحافظ على مكاسب متعددة من بينها المساعدات المالية التي تدفعها ألمانيا على وجه الخصوص اعتذاراً عن الهولوكوست، وتدفعها أميركا تحت مسميّات أخرى. ويمكن القول إنّه نجح كثيراً في تقديم صورة اليهودي الأوروبي المحاط ببلاد عربية «معادية للسامية»، و«متطرفة»، و«متخلّفة»، مثلما أظهر حركة «حماس» وكل حركات المقاومة الفلسطينية بصورة «المنظمات الإرهابية». إضافة إلى ذلك، بنى الاحتلال الاستعماري لنفسه سمعةً مهيبة ترسّخت في أذهان الشعوب العربية بالتحديد، ما صعّب عليها فكرة المقاومة المسلّحة ضد «الجيش الذي لا يُقهر»، وتكنولوجيته الاستخباراتية التي تراقب الفلسطينيين والعرب في كل مكان وتعرف عنهم «كل شيء»، وتغتال من تشاء أينما تشاء. كان كل ذلك حتى السابع من تشرين الأول الذي شكّل ضربة أفقدت الاحتلال توازنه وجعلته يتخبّط في قراراته ويُسقط عنه قناع الإنسانية والضحية بسرعة غير مسبوقة.

منذ عملية «طوفان الأقصى»، ومع موقف الحكومات الغربية الداعمة بالكامل للاحتلال الصهيوني ومجيء سياسيّي الدول الكبرى للوقوف إلى جانب رئيس وزراء العدو، حاولت قوات الاحتلال المحافظة على صورتَين: التظاهر بسيطرة الحكومة والجيش على الحرب وفبركة الإنجازات العسكرية، والاستمرار في لعب دور الضحية في وجه «الإرهاب» الفلسطيني. استخدم الاحتلال وسائل الإعلام التقليدية والرقمية من جرائد وقنوات تلفزيونية ومواقع إلكترونية إخبارية ومنصّات التواصل الاجتماعية وأدوات صناعة الصور والتأثير البصري مثل الذكاء الاصطناعي، لنشر الأخبار الكاذبة والمضلّلة. لم يفوّت العدو أي فرصة لمشاركة الأخبار والصور الوهمية، فتناقل الرئيس الأميركي جو بادين خبر أنّه رأى صور «الأطفال الإسرائيليين الذين قطعت «حماس» رؤوسهم في مستوطنات غلاف غزة» الذي حملهُ من كذبة أطلقها بنيامين نتنياهو. والحقيقة أنّ ليس هناك من أطفال قطعت رؤوسهم سواء كانوا يهوداً أم لا، وليس هناك من صور لما زعمه كلاهما. كما تناقل الإعلام العبري خبر «اغتصاب جماعي وعنف جسدي» للفتيات اللواتي كنّ في المهرجان يوم تنفيذ عملية «طوفان الأقصى»، وخرج نتنياهو قبل ثلاثة أسابيع في خطاب وقح يخاطب منظمات حقوق المرأة والجمعيات النسوية ويتهمها بالتقصير تجاه النساء اليهوديات اللواتي تعرّضن «للتحرش الجسدي والعنف والاغتصاب على يد حماس».

حاول العدو الصهيوني التظاهر بسيطرته العسكرية ونشر فيديوات مضلّلة عن «مستشفى المعمداني» قبل تنفيذ المجزرة الوحشية، وصنع فيديو مفبرك عن «مستشفى الشفاء» قبل قصفها والاعتداء عليها والتنكيل بالموظفين فيها، نشره الصهيوني إيدي كوهين، حيث تدّعي فتاةٌ أنها ممرضة فلسطينية وأنّ مقاتلي «حماس» يسرقون الأدوية والوقود. اتضح في ما بعد أنها ممثلة مكسيكية تعيش في كيان الاحتلال وتدعى هانا. وأخيراً انتشرت على منصّة تيك توك فيديوات لمجنّدات صهيونيات يرقصن ببعض الإيحاءات الجنسية، وأخرى تظهر الجنود يحتفلون ويشاركون «غنائم» حصّلوها من اقتحاماتهم وسيطرتهم على بيوت الفلسطينيين في غزة.

عبر هذه الفيديوات والصور التي يدّعي بأنّها من واقع الحرب، يحاول العدو الإيحاء بأنّه نجح في عملياته العسكرية. ومن فرط سيطرته، فإنّ مجنّديه في وضع عسكري جيّد يسمح لهم بالمرح وتسجيل المقاطع المصورة هنا وهناك. لكن في الحقيقة، هذه الأخبار بمجملها ما هي إلّا صور مصطنعة لم يعد لها أصل، وتمثل جزءاً من «الواقع المفرط» الذي تقدّمه وسائل الإعلام المشبّعة بهدف غواية الجماهير والتأثير النفسي عليها.

يشكّل الواقع المفرط والحياة المصطنعة التي يقدّمها الاحتلال الاستيطاني في فلسطين عالماً شبيهاً بعالم الماتريكس، ليس مطابقاً من حيث الذكاء الاصطناعي الذي أدى بالآلات للسيطرة على البشر واحتلال عقولهم، إنّما بفكرة العالم الوهم الذي نجح في إشباع الناس بالصور التي تبدو في ظاهرها واقعية، لكنّها في أصلها فارغة من جوهرها ومضمونها. وهنا نسترجع مشهد «مورفيوس» والحبّتين، لنسأل كيف استطاعت المقاومة الفلسطينية إيقاظ البشر من عالم «الماتريكس»... ماتريكس العدو الصهيوني الذي أعمى عقول الناس عن الحقيقة الفعلية؟ تبدأ القصة في إبداع التخطيط والتنفيذ لـ«عملية الطوفان» بحيث تحدّت المقاومة الفلسطينية أسطورة «الجيش الذي لا يُقهر»، وأثبتت أنّها تستطيع أن تقف في وجهه وإن ساندته مجموعات

> **كسر السابع من أكتوبر صورة الكيان ذي التكنولوجيا العسكرية والاستخباراتية المتفوّقة**
>
> **«مرحباً بك في صحراء الواقع»، يقول «مورفيوس» لـ«نيو» حين يستفيق من الواقع الافتراضي**

من المجنّدين المرتزقة وغيرهم من القوات الأميركية والأوروبية. ويمكن القول إنّ نجاح المقاومة في الخروج من غزة المحاصرة بجدار يمتد من تحت الأرض إلى فوقها، والكثير من كاميرات المراقبة والقواعد العسكرية والكيبوتسات اليهودية المحيطة بقطاع غزة، كسرت صورة الكيان ذي التكنولوجيا العسكرية والاستخباراتية المتفوّقة، ونسفت الـ«بانوبتيكون»، فكرة برج المراقبة المركزي المرتبط بالسلطة (الأخبار 2023/11/18). أجبرت المقاومة الفلسطينية العالم كله على أن يلتفت إليها وإلى القضية الفلسطينية وسجن قطاع غزة الذي كان غائباً عن الصورة العامة لعقود مضت، عندما عادت ومعها ما يزيد عن المئتين من الأسرى الأجانب والإسرائيليين، تفاوض فيهم العدو للإفراج عن الأسرى الفلسطينيين والعرب.

منذ أن بدأ العدوان الهمجي على القطاع، أخذ العدو ينشر تلك الصور والأخبار الوهمية التي ذكرناها في الأعلى، لكن إعلام المقاومة العسكري تصدّى لها أولاً بأول عبر نشره لمواد خام مصوّرة من أرض المعركة. وحين أضاف رموزاً ومؤثرات خفيفة على بعض الفيديوات، جاءت بهدف إيضاح الصورة والتأكد من وصول المعلومة الصحيحة للجماهير، إضافة إلى تحوّل الغزيّين بكاميرات هواتفهم الذكية إلى مراسلين من أرض المعركة، يوثّقون استهداف المدنيّين في مدارس الإيواء والمرضى في المستشفيات، وارتكاب المجازر وسحب النساء من بين النازحين للاعتداء عليهن واعتقالهن من دون أي مبرّر. هذه الصور الحقيقية شاهدها الملايين حول العالم، فخرجوا في تظاهرات حاشدة في المدن الأميركية والأوروبية رافضينَ استمرار العدوان على غزة ومنددين بقرارات حكومات بلادهم الداعمة للصهيونية. كما انتشرت فيديوات كثيرة على منصّات التواصل الاجتماعي، ولا سيّما التيك توك، لأجانب يردّدون عبارات من نوع: «كنّا مضلّلين»، «غسلوا أدمغتنا منذ الصغر وجعلونا نتعاطف مع إسرائيل»، «لم نكن نعلم شيئاً عن غزة»، «نحن مصدومون من ازدواجية المعايير التي يتعامل فيها الغرب مع الفلسطينيين»، «اكتشفنا أن الإنسانية والعدالة والمساواة غير موجودة في هذا العالم»... تشكل هذه المواقف ردة فعل الشعوب التي اعتبرت أنّها كانت مُضلّلة لعقود، وللحقيقة أسهم في ذلك تخلّي الاحتلال بسرعة غير مسبوقة عن قناع الحضارة والإنسانية، وخرجت على السنة مسؤوليه لغة فاضحة تبرّر القتل والعنف والإبادة والحرق لكل مقوّمات الحياة ولكل ما يتحرّك في غزة، فجاء على لسان وزير دفاع العدو في بداية العدوان قوله: «نحن نحارب حيوانات بشرية» مبرّراً حصاره وقطعه الماء والطعام والكهرباء عن الفلسطينيين في القطاع. كما ساعدت شهادات المحتجزين الذين أفرجت عنهم «كتائب القسام»، إذ نقلوا المعاملة الحسنة التي تلقّوها من مقاتلي «القسّام»، ونفوا كل الشائعات التي نشرها العدو عن تعرّضهم للاعتداء والعنف، وشهدت على ذلك أيضاً لغة جسدهم خلال تسليمهم إلى الصليب الأحمر (الأخبار 2023/12/2).

إن ردة فعل الشعوب التي خرجت للضغط على حكوماتها من أجل إنهاء الحرب ووقف إطلاق النار بشكل نهائي، وقاطعت الشركات الداعمة للاحتلال وكل منتجاتها حتى استطاعت الحد من أرباحها كما حدث مع «ستاربكس»، تشير إلى تأثير المقاومة الفلسطينية في نزع الغشاء عن عقول الجماهير قبل أعينها. ويمكن القول إنها أعادتنا إلى «صحراء الواقع» في زمن طغى عليه «الواقع المفرط» بحيث لم نعد نستطيع التمييز بين ما هو حقيقي وما هو افتراضي أو وهمي، كأن المقاومة أعطت الجماهير فرصة الاختيار بين الحبتّين: الزرقاء لمن يفضّل البقاء في الوهم، والحمراء لمن يختار بكامل وعيه أن يستفيق من عالم الماتريكس إلى حقيقة الواقع الفعلي. إن كنتم ترون رمز المثلث الأحمر المقلوب في المواد المصوّرة الأصلية التي ينشرها إعلام المقاومة وأنتم مبتسمون، فقد استيقظتم من الماتريكس.

في خان يونس يوم السابع من أكتوبر 2023 (يوسف محمد)

طوفان الأقصى

خاصم فوكو «الصهيوني» واعتبر اللاجئين خزّان الفدائيّين

كأنّ جيل دولوز حيّ بيننا

رشيد وحتي

في مقالة «لقائي مع جان بول سارتر» للمفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد (1935 ــ 2003) حول خيبته من المواقف المتذبذبة لفيلسوف الحركات التحرُّرية الأبرز تجاه الفلسطينيّين، تنكشف خيبةٌ أخرى من ميشال فوكو (1926 ــ 1984)، فيلسوف الحفريات المؤرِّخة لسطوة الأجهزة القمعيّة على الجسد منذ العصر الوسيط حتّى العصور الحديثة. يقول إدوارد سعيد: «في نهاية الثمانينيّات، أسرّ لي جيل دولوز بأنّه وفوكو، اللذَين كانا قريبين جداً مِنْ بعضهما، تخاصما وصارت بينهما قطيعة شخصيّة بسبب خلافاتهما بشأن فلسطين: ميشال فوكو يدعم إسرائيل، وجيل دولوز (1925 ــ 1995) الفلسطينيّين. فلا عجب إذاً أنّ فوكو لم يكن يريد مناقشة مشكلات الشرق الأوسط معي، أو مع أي شخص آخر».

إضافةً إلى مواقف دولوز العامّة والخاصّة في نصرة مستضعَفي الأرض والمزعجين للقوى الإمبرياليّة والمارقين عن كل سلطة، عبر نصوصه الفلسفيّة أو ممارسته السياسية؛ فقد خصَّص بشكل مباشر أربعة نصوص لدعم الفلسطينيّين وقضيّتهم، ومنها اجتزاءنا كلّ استشهاداتنا في متن المقالة: «المزعجون» (لوموند 7 نيسان/ أبريل 1978)، و«هنودٌ فلسطين» (محاورة مع إلياس صنبر، ليبراسيون، 8و9 أيار/ مايو 1982)، و«عظمة ياسر عرفات» (الطبعة الفرنسية لمجلّة الدراسات الفرنسية، العدد 10، شتاء 1984)، و«الحجارة» (نصٌ مخطوطٌ، نُترجمه كاملاً في ذيل هذه المقالة).

كصدى لما يحدث في إعلام اليوم بانقسامه بين غالبيّة مضلِّلة خاضعة للرأسمال العالمي وأقلية حرّة ومستقلة ويقظة الضمير، لا بدَّ لنا من أن نتذكّر أيضاً نصَّ دولوز السِّجالي في ذمّ ظاهرة ما سمّاه وغَوَتَهُ بـ«الفلاسفة الجدد»، الذين تسيَّدوا ساعتئذ المشهدَ الإعلامي والساحة الثقافيّة بانعطافهم يميناً وقدحهم للماركسية وقيم اليسار وتطبيلهم لاقتصاد السوق وتصهينهم، عبر خروجهم من عباءة المضطهدين واعتمارهم لبوس الحاخامات، عائدين إلى طوائفهم الدينيّة بأبشع صورة، بعدما كان جلُّهم نشطاء راديكاليين في حركة مايو 68 الطلّابيّة (كانت تلميحات دولوز تُشير أكثر إلى «فتى الربيع العربي» برنار هنري ليفي والمهلَّل لنهاية الأيديولوجيا أندريه غلوكسمان ضمن ثلّة غفيرة من فلاسفة استوديوهات ومجلات ودور نشر الرأسمال المتوحّش والمعولَم).

> اقام تقاطعات صارخة بين المشروعين النازي والصهيوني عبر استخدامه مصطلح «حل نهائي»

باعتباره ابناً لمدرسة التاريخ والتاريخانيّة، لا يجتزئ دولوز الأحداث من سياقاتها، مثلما يفعل الآن من بدأت لديهم موجة العنف في المشرق العربي يوم السابع من تشرين الأول (أكتوبر) 2023. بل إنّ دولوز يعود بالقضيّة الفلسطينيّة إلى جذور وقائعها وجوهرها السياسي، فاضحاً سياسة الكيل بمكيالين: «لماذا يكون الفلسطينيون «محاورين مقبولين» بما أنّه لا وطنَ لديهم؟ ولماذا يكون لهم وطن، وقد سُلبَ منهم؟ ولم يُمنحوا أيّ خيار سوى الاستسلام من دون قيد أو شرط. لا يُعرض عليهم سوى الموت. وفي الحرب الدائرة بينهم وبين إسرائيل، تُعتبَر تصرفات إسرائيل رداً مشروعة (حتى لو بدت غير متناسبة)، في حين يتمّ التّعامل مع تصرُّفات الفلسطينيين باعتبارها حصراً جرائم إرهابية. والعربي الميت ليس بنفس قياسٍ أو وزنٍ مواصلاً تعريته لذرائعيّة العنف المجّاني لسياسة الكيان المؤقَّت، يكشف دولوز عن طبيعته العدوانيّة الدّائمة كثابت من ثوابت الصهيونيّة، عندما يشير إلى أنّ غزوَ 1978 للبنان «لم يكن رداً على عمل كوماندوس تل أبيب (ثلاثون ألف جندي ضد أحد عشر إرهابياً) (1)، بل كان تتويجاً متعمّداً لسلسلة كاملة من العمليات التي احتفظ فيها دوماً بزمام المبادرة. ومن أجل التوصل إلى «حلّ نهائي» للمشكلة الفلسطينية، يمكن لإسرائيل أن تعتمد على تواطؤ شبه إجماعي من الدول الأخرى، مع اختلاف في الفروق الدقيقة والقيود المختلفة». يخلص من تحليله للحدث ولسلوك الكيان الصهيوني إلى استنتاج ما زالَ صحيحاً حتى اليوم، مفادُه أن الفلسطينيين، كشعب بلا أرض ولا دولة، مزعجون للجميع، مهما تلقَّوْا مِنْ أسلحةٍ وأموالٍ مِنْ بعض الدُّول، فإنّهم يَعُونَ ما يقولونَ عندما يعلنون أنّهم وحيدون تماماً. للإشارة، فعبارة «حل نهائي» هي ذاتُها التي استعملتها النازية كمصطلح مهذَّب للهولوكوست، لا يتوانى دولوز هنا إذن عن وضع مقابلات وتقاطعات صارخة بين المشروعين النازي والصهيوني.

لكنَّ النّقطة الأقوى في تحليل دولوز، والمستنِدة إلى مِراسه الطويل في آليات التحليل النّفسي، هي كشفُه عما يشكّل العصبَ الأهمَّ لديمومة القضيّة الفلسطينيّة ولأسطورة الفدائيّ الذي تتَخَصَّب به بطون الفلسطينيات بلا انقطاع: «اللاجئون خزّانُ المقاتلين الفلسطينيّين. لا تدّعي إسرائيل هزمَ المقاتلين إلا عبر تسبُّبها في آلاف آخرين من اللّاجئين، ما سيولّد منهم مقاتلين جدداً». وهذه الظاهرة بالذات تنسحبُ على وقائع «طوفان الأقصى»، وتثير حاليا الرُّعب في المؤسّسات الصهيونيّة في شكل سؤال مزدوج: ماذا عن اليوم التالي لوقف إطلاق النّار؟ كيف سيكون مستقبلاً السلوك النفسي والحربي لمن سينجو من أعتى إبادة عرقيّة في أوائل هذا القرن تجاه من يحاول إبادته من دون جدوى؟

كأنّ دولوز ما زال حياً بيننا، ما زال تحليله للقضيّة الفلسطينيّة صحيحاً ضمن الوضع الدولي العام وفي إطار تامر القوى الإمبرياليّة مع ربيبتها الوظيفيّة وبتغطيتها ديبلوماسياً لجرائمها وسياستها الكولونياليّة المتواصلة. يقول: «واليوم، دولة إسرائيل هي التي تقودُ حقلَ التجارب. إنها تصنعُ نموذجاً للقمع الذي سيُسوَّق في بلدان أخرى وتكييفه مع بلدانٍ أخرى. ثمّة استمرارية كبيرة في سياستها. لقد اعتبرت إسرائيل دائماً أنّ قرارات الأمم المتحدة التي أدانتها شفاهاً تثبيتٌ لصفّة ما تقترفُه. وتحوَّلت الدعوة إلى مغادرة الأراضي المحتلة إلى واجب إقامة مستوطنات فوقَها [..] إنّه ابتزاز غريب، لن يخرج منه العالم كله إلا إذا كان هناك ما يكفي من الضغط حتى يتم الاعتراف بالفلسطينيين في النهاية على أنهم «محاورون مقبولون»، ما داموا في حالة حرب ليسوا مسؤولين عنها بالتأكيد». وهذه بالذات كانت غاية «طوفان الأقصى» السياسيّة: إرجاع الفلسطينيين إلى خريطة الصراع الدولي، بعدما فلَتَت أميركا وذيولها وحلفاؤها أنّهم أقبروا صوتهم ومطالبهم الجذرية تحت ركام الاتفاقيّات الإبراهيميّة المذلّة، عاد الفلسطينيُّون كمحاور وحيد لحلّ قضيّتهم، مهما كان السّند، ومهما تكالب الأعداء.

وفي موازاةٍ بين كولونياليّة إبادة الشعوب الأصليّة للقارة الأميركيّة (وتأسيس الولايات المتّحدة الأميركيّة على جماجم الهنود الحُمر) والكولونياليّة الإحلاليّة الصهيونيّة في فلسطين، يقتفي دولوز آثار التّماثلات بين الإبادتين: «ليس الفلسطينيون في وضع شعب مستعمَر، بل تم إجلاؤهم وطردهم. هناك عمليّتان مختلفتان للغاية في الرأسمالية. في بعض الأحيان، يتضمن ذلك إبقاءَ شعب على أراضيه، وجعله يَعمل، ويستغلُّونه، لتجميع الفائض. وهذا ما نسمّيه عادة مستعمَرة. وفي أحيانٍ أخرى، وعلى العكس من ذلك، يتعلّق الأمر بإفراغ منطقة ما من سكانها، لتحقيق قفزة إلى الأمام، حتى لو تطلَّب ذلك جلبَ قوة عاملة من مكان آخر. لقد مر تاريخ الصهيونية وإسرائيل، مثل تاريخ أميركا، عبر هذا: كيف نخلق الفراغ، وكيف نُخلي شعباً من وطنه؟». ينسج دولوز من هذه التاريخ الوجيز استعارةً طفت هذه الأيام على السطح عبر تداول فيديوات تقيم مقارنة بين رقصات الهنود الحُمر ورقصات الفدائيّين الفلسطينيّين. بالنسبة إلى دولوز، الفلسطينيّون هم هنود الشرق الأوسط. ربّما كانت هذه هي الاستعارة التي أوحت لمنير العكش بتاليف خماسيّته حول الإبادات الجماعيّة الثقافية والجنسية لهنود أميركا انطلاقاً من تعاليم تلمودية).

وفقاً لدولوز، لم تُخفِ «إسرائيل» هدفها منذ البداية. هدف تفصّله وفقاً لمراحلها الإبادية والإحلالية التي ما زالت مستمرّة حتّى الآن: إخلاء الأراضي الفلسطينية والتصرف كما لو أن الأراضي الفلسطينية خالية، ومخصّصة دائماً للصهاينة كارض موعودة توراتياً. يوضح دولوز الفرق بين الكولونياليّة الكلاسيكيّة والكولونياليّة الصهيونية في أعتى مظاهرها اليمينيّة المتطرّفة المنطبقة على ساسة الكيان المؤقّت الحاليّين: «لن نستغل سكان البلاد، بل سنجبرهم على المغادرة. أولئك الذين بقوا، لن يتم تحويلهم إلى قوة عاملة رهينةٍ بالأرض، بل إلى قوة عاملة عابرة ومنفصلة، كما لو كانوا مهاجرين تم وضعهم في غيتوات. الأمر، منذ البداية، مؤسَّس على شراء الأراضي بشرط أن تكون خالية مِنْ ساكنيها، أو قابلة للإخلاء. إنها إبادة جماعية، لكن حيث تظل التصفية الجسدية خاضعة للإخلاء الجغرافي: بكونهم بشكل عام عرباً فقط، يجب على الفلسطينيين الباقين على قيد الحياة أن يندمجوا مع العرب الآخرين. إن التصفية الجسدية، سواء عُهِدَ بها إلى المرتزقة أم لا، أمرٌ واقعٌ تماماً. لكنهم يقولون إنها ليست إبادة جماعية، لأنها ليست الهدف النهائي»: إنها، في الواقع، وسيلة مِنْ بين وسائلَ أخرى».

ثنائيَّة الجلّاد والضَّحيّة، تناحر الجماعيّة الثقافية والجنسية لهنود أميركا انطلاقاً من تعاليم تلمودية).

وفقاً لدولوز، لم تُخفِ «إسرائيل» هدفها منذ البداية. هدف تفصّله وفقاً لمراحلها الإبادية والإحلالية التي ما زالت مستمرّة حتّى الآن: إخلاء الأراضي الفلسطينية والتصرف كما لو أن الأراضي الفلسطينية خالية، ومخصّصة دائماً للصهاينة كارض موعودة توراتياً. يوضح دولوز الفرق بين الكولونياليّة الكلاسيكيّة والكولونياليّة الصهيونية في أعتى مظاهرها اليمينيّة المتطرّفة المنطبقة على ساسة الكيان المؤقّت الحاليّين: «لن نستغل سكان البلاد، بل سنجبرهم على المغادرة. أولئك الذين بقوا، لن يتم تحويلهم إلى قوة عاملة رهينةٍ بالأرض، بل إلى قوة عاملة عابرة ومنفصلة، كما لو كانوا مهاجرين تم وضعهم في غيتوات. الأمر، منذ البداية، مؤسَّس على شراء الأراضي بشرط أن تكون خالية مِنْ ساكنيها، أو قابلة للإخلاء. إنها إبادة جماعية، لكن حيث تظل التصفية الجسدية خاضعة للإخلاء الجغرافي: بكونهم بشكل عام عرباً فقط، يجب على الفلسطينيين الباقين على قيد الحياة أن يندمجوا مع العرب الآخرين. إن التصفية الجسدية، سواء عُهِدَ بها إلى المرتزقة أم لا، أمرٌ واقعٌ تماماً. لكنهم يقولون إنها ليست إبادة جماعية، لأنها ليست الهدف النهائي»: إنها، في الواقع، وسيلة مِنْ بين وسائلَ أخرى».

ثنائيَّة الجلّاد والضَّحيّة، تناحر المستعمِر والمستعمَر، يوجزهما دولوز في شعارين مكثّفين للغاية، يختصران كلَّ تاريخ الصراع الصهيوني الفلسطيني: «بيان الفلسطينيين: نحن شعب مثل الشعوب الأخرى، لا نريدُ أنْ نكونَ إلّا كذلك.. إنها صرخة ذات معانٍ متعددة. أولاً وقبل أي شيء، هي تذكير، أو نداءٌ. بيان إسرائيل هو: نحن لسنا شعباً مثل الشّعوب الأخرى، من خلال شعُوْنا وهولِ اضطهادِنا». كلُّ ثنائيَّة الشعب العادي ذي التطلّعات التحررية فوق أرضه و«شعب الله المختار» المصطنَع والمارق على القوانين والمواثيق الدّوليّة تتضح بجلاء في هذين الشعارين الذين لخّص بهما دولوز مسار الصراع والآليات التي يخوضه بها كل طرف: يطالب الصهاينة بمعاملة كشعب خارج

> يصوّر دولوز في الأخير الفلسطينيّين كضحايا لدوّامة تاريخيّة طحنتهم طحناً

المعايير، في إطار حالة من التبعية الاقتصادية والمالية للغرب، بشكل لا مثيل له في أي دولة لم تعرف شيئاً كهذا مِنْ قَبْلُ، وبشكل أكثر جلاءً اليوم عبر توريد شحنات السلاح والمآكل لطرف وحصار وتجويع إبادة طرف آخر، حتّى خارج موائيق وقوانين صنعها الطرف الأقوى والمهيمن على القرار الدولي.

بلا موارَبة ولغة مراوغة، يوصّف دولوز ما يقترفه الصهاينة في حروبهم على الفلسطينيّين بعبارةٍ لو شيءَ له اليوم أن يكون حيّاً بيننا وتفوَّه بها لطاله الحجب الإعلامي ومنعت كتبه من التّداول، وخصوصاً أنّه يجد مجازرَ الصهاينة شبيهةً بمجازر نازية هتلر: «يقولون إنّها ليست إبادة جماعية. مع ذلك، فهي قصة تتضمن الكثير مِنَ التماثل مع مجزرة «أورادو» (قرية فرنسية أبادتها القوات النازية في 10 حزيران/ يونيو 1944) منذ البداية. لم يكن الإرهاب الصهيوني ضد الإنكليز فقط، بل أيضاً ضد القرى العربية التي توجَّب أنْ تختفي؛ وكانت منظمة الإرغون نشطةً جداً في هذا الصدد (دير ياسين)».

تحتدُّ لهجة دولوز في إدانة الإرهاب الصهيونيّ في أتقادهِ لاتاريخانيّته وميله إلى أسطرة واختلاق الوقائع، فهو يرى أنّ تحويل الهولوكوست إلى شر مطلق رؤيةٌ دينية، لا رؤية تاريخية، بما أنّها لم تَمنع الشر، بل على العكس من ذلك، فهي تمارسه في حقّ أناس أبرياء من اقتراف الهولوكوست، تمارسه بالطريقة نفسها التي مورس عليها (الطرد، والتكديس في غيتوات، والاختفاء كشعب).

يصوّر دولوز في الأخير الفلسطينيّين كضحايا لدوّامة تاريخيّة طحنتهم طحناً، إذ مرُّوا بكل هذه الدورات الجهنمية من التاريخ: فشل الحلول كلما كانت ممكنة، وأسوأ انتكاسات في التحالفات التي عانوا من أجلها، وعدم الوفاء بالوعود الأكثر جلاءً. ومِنْ كل هذا، لم يكن مِنْ بُدٍّ لمقاومتهم إلّا أنْ تتغذّى من آلامهم. فهل ستزهر الآلامُ الجسام، في مقبل الأيام، حلولاً تحترم تضحياتهم أم سيتواصل إهمال وجودهم وصوتهم ليصنعوا، كحلّ وحيد يُتْرَكُ لهم، موجة عنف ثوري أكثر وضوحاً وحسماً في الجولة القادمة؟

■■■

1: في إشارة إلى العملية الواسعة التي شنتها حكومة بيغن في جنوب لبنان، ردا على العمليّة التي قام بها كوماندوس فلسطيني شمال تل أبيب وقد خلّفت عشرات الضحايا. بالنسبة إلى «دولة إسرائيل»، كانت هذه أكبر عملية تُنفَّذ على الإطلاق في الأراضي اللبنانية؛ وتسببت في سقوط مئات الضحايا في المخيمات الفلسطينية وفي صفوف اللبنانيين، وتسببت في نزوح عشرات الآلاف من المدنيين اللبنانيين نحو العاصمة. ورغم حجم هذا الهجوم، إلا أنه فشل في تفكيك قواعد المقاتلين الفلسطينيين، وبقيت الجبهة مفتوحة (هامش من وضع محرِّر الطبعة الفرنسيّة لمقالات دولوز).

2: بعد أسبوع على إرسال القوات الإسرائيلية التي احتلت ما يصل إلى سدس الأراضي اللبنانية، اتخذت «القبّعات الزُّرق» التابعة للأمم المتحدة مواقعها في جنوب لبنان (هامش من وضع محرِّر الطبعة الفرنسيّة لمقالات دولوز).

المصادر

Gilles Deleuze: Deux régimes de fous et autres textes (-1975 1995), Minuit éd., Paris, 2003
Edward Said: Ma rencontre avec Jean-Paul Sartre, Le monde diplomatique, septembre 2000, pp. 5-4

(جان كلود كوتاس ـ 2006)

الحجارة

جيل دولوز
ترجمة: ر.و

إنَّ الدَّين اللّامتناهيَ الذي تَدين به أوروبا لليهود، لم تَشرعْ أبداً في سَداده، بل جعلَتْ شعباً بريئاً يسدِّدُه: الفلسطينيُّون. أمّا دولة إسرائيل، فقد بناها الصَّهاينة على الماضي القريب لِعذاباتهم. وعلى الرُّعب الأوروبيِّ الذي لا يُنسى، ولكن أيضاً على آلام هذا الشّعب الآخر، بحجارةِ هذا الشعب الآخر. لقد سُمِّيَت الإرغون منظمةً إرهابيّة، ليس فقط لأنَّها فجَّرت الإقامة العامة البريطانيّة، ولكن أيضاً لأنها دمَّرت القرى وأبادت السكان.

لقد جعل الأميركيون من الأحداث فيلماً هوليودياً ضخماً، بميزانيّةٍ هائلة. كان يُفترَض أن تُقام دولة إسرائيل على أرض خلاءٍ، انتظرتْ طويلاً الشعب العبرانيَّ القديم، وبها أشباحٌ من بعض عربٍ أتوا مِنْ أماكنَ أخرى، حرَّاساً لِحجارةٍ نائمةٍ. لقد تمَّ إلقاءُ الفلسطينيين في جُبِّ النِّسيان. طُلِبَ منهم الاعتراف بدولة إسرائيل قانوناً، ولكنَّ الإسرائيليِّين استمروا في إنكار الحقيقة الملموسةِ المتمثّلة في الشعب الفلسطينيّ.

لقد خاضوا وحدهم، منذ البداية، حرباً لم تنتهِ للدِّفاع عن أرضهم، وحجارتهم، وحياتهم: هذه الحرب الأولى التي لا أحد يتحدَّث عنها، اعتقاداً أنَّ الأهمَّ هو جعلُ النَّاس يعتقدون أنَّ الفلسطينيِّين عربٌ أتوا مِنْ أماكنَ أخرى يمكنهم العودة إليها. من سيزيلُ كلَّ هذا الالتباس بين أردن وآخَر؟ من سيقول إنَّ العلاقة بين فلسطيني وعربيٍّ آخَر يمكن أن تكون قوية، ولكن ليس أكثر من تلك التي بين دولتين أوروبيتين؟ وأي فلسطيني يستطيع أن ينسى ما فعله عربٌ آخَرون به، مثل ما فعله به الإسرائيليون؟ ما هي عُقْدَةُ هذا الدِّين الجديد؟ بعد طردهم من أرضهم، استقر الفلسطينيون حيث يمكنهم على الأقل رؤيتُها، واحتفظوا بهذه الرؤية كاتصال أخير مع كينونتهم المهلوَسة. ولن يكون أبداً بمقدور الإسرائيليين دفعُهم بعيداً بما فيه الكفاية، دفعهم إلى الظلام، إلى غياهب النسيان.

تدمير القرى، تفجير المنازل، الطرد، اغتيال الشخصيات، قصة مروَّعة بدأت مرَّة أُخرى على حساب الأبرياء الجدد. يقال إن أجهزة المخابرات الإسرائيلية تحظى بإعجاب العالم. ولكن ما هذه الديمقراطية التي تمتزج سياساتها بقوَّة مع عمل أجهزتها السرية؟ كل هؤلاء الأشخاص يُكَنُّونَ بـ «أبو»، كما يقول مسؤول إسرائيلي بعد اغتيال أبي جهاد. أما زالَ يتذكّر الصَّوت القطيع الذي كان يقول: «كلُّ هؤلاء النَّاس يسمُّون ليفي؟»، فكيف ستنسحب إسرائيل مِنْ كلِّ هذا، مِنَ الأراضي المضمومة بالقوَّة، ومِنَ الأراضي المحتلة، ومِنْ حاضاناتها المعتوهين؟

احتلالٌ، احتلالٌ لا متناهٍ. الحجارة التي يتمُّ قذفُها تأتي من الداخل، تأتي من الشعب الفلسطيني ليتذكِّرنا بأنَّه، في مكان من العالم مهما كان صغيراً، تمَّ قلبُ الدِّين. ما يقذفُه الفلسطينيُّون حجارةٌ لهم، حجارةُ وطنِهم الحيَّة.

لا يمكن لأحد أن يسدِّدَ ديناً بجرائم القتل، واحدة، أو اثنتين، ثلاث، أو سبع، أو عشْر في اليوم، ولا بالتَّواطؤ مع طرفٍ ثالث. الطَّرَفُ الثَّالث يتملَّص، وكلُّ ميِّتٍ يدعو أحياءً، والفلسطينيُّون عبروا داخلَ روحِ إسرائيل، يحرثون هذه الرُّوح كمَنْ يسبِرُها ويختبرُها كلَّ يوم.

● حزيران/ يونيو 1988، بعد وقت قصير من اندلاع الانتفاضة الأولى، انتفاضة أطفال الحجارة في كانون الأول (ديسمبر) 1987

■■■

ملاحظات:

1. رغم قوَّة لغة وحجَّة دولوز في النَّص الذي ترجمناه له، إلَّا أنَّه — كجلِّ الإنتاج الثقافي للذهنية الغربية — يعاني، وهو الخبير في ضبط المفاهيم، مِنْ تشوُّش في وضع الحدود والفروقات بين اليهودية والصهيونية والسامية (وهذا من أسباب وقوع خيارنا عليه لترجمته كاملاً).

2. بلغنا ازعاج بعض القراء النبيهين والمتابعين الدائمين من «تخويننا» لبعض أعلام الفكر الغربي في سلسلة مقالاتنا السابقة المركّزة على جرد مواقفهم من عذابات الشرقيين عموماً، وآلام الفلسطينيين خصوصاً. كنَّا دوماً نبني تحاليلنا وخلاصاتنا على المتون والوقائع المثبتة في أرشيفات رسمية تُدين خيانة المثقفين لمهامهم الرئيسة في نصرة مستضعَفي الأرض؛ ونحن عموماً لا نجزِم جملةً وتفصيلاً الإنتاج الفكري لهذه الأعلام، فالكثير من إنتاجها ما زال صالحاً لنقد إمبرياليَّة ارتضوا في أحضانها سعياً وراء إغراء مادي أو أهواء بوروكراتية أو تحاليل زائفة كُتِبَتْ بِحِبْرِ العِرق أو الدِّين أو اللَّون أو أيديولوجيا «العالم الحُرّ».

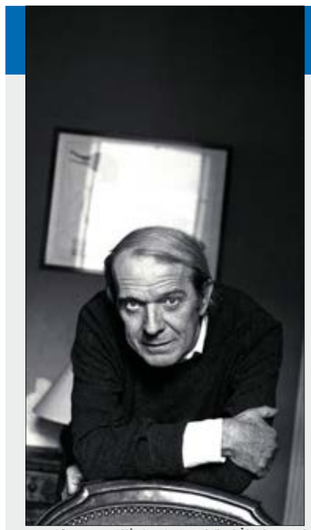

امتير دولوز أنّ إسرائيل تصنع نموذجاً للقمع سيسوّق في بلدان أخرى

طوفان الأقصى

عنبرة سلام الخالدي وهالة السكاكيني: ذكريات مقدسيّة

كانت فلسطين ولما تزل أجمل البلدان، والقلب النابض لبلدان الشرق وأوطان العرب والمشارقة، وقدسها زهرة المدائن، وبهية المساكن، وكانت عامرة بأهلها وعمرانهم وتراثهم وثقافتهم ومؤسساتهم الحضرية والمدنية، ومسارحهم ومناسباتهم الأدبية والثقافية التي يتقاطر إليها الأدباء والفنانون والشعراء من كل حدب وصوب قبل أن يغتصبها الصهاينة ويعيثوا فساداً وخراباً في كل ما أنشأه أبناء الأرض السليبة من الكليات والجامعات والنوادي والمسارح وغيرها. هنا، نغوص في مذكرات سيدتين فلسطينيتَين مقدسيتين عاشتا الفترة الذهبية لفلسطين والقدس قبل نكبة 1948 وكانتا شاهدتين على النهضة الفلسطينية في كل الميادين: عنبرة سلام الخالدي (1897-1986)، ابنة سليم علي سلام كبير زعماء المسلمين البيارتة في زمانه، الذي استدعى شيخ الأدباء اللبنانيين عبد الله البستاني ليسهر على تدريسها اللغة العربية في البيت، وتوسّم فيها ميلاً إلى التحرر فخطبت في الرجال سافرةً في حفل عام، ثم اقترنت بأحمد سامح الخالدي، رائد التربية الحديثة في فلسطين. انتقلت معه إلى القدس، لتنشط في الحركة النسائية هناك وانكبت على ترجمة الإلياذة والأوديسة بأسلوب عربي نثري سلس وتركت لنا مذكرات لا تُقدر بثمن عن ذكرياتها بين بيروت والقدس. أما السيدة الأخرى فهي هالة السكاكيني (1924-2002)، ابنة المربي الفلسطيني خليل السكاكيني التي ولدت في البلدة القديمة في القدس وأنهت دراستها فيها في الثلاثينيات. وخلال نكبة 1948، غادرت مع العائلة حي القطمون في القدس الغربية إلى مصر، لتعود في وقت لاحق إلى رام الله وتمارس مهنة التعليم في رام الله وبيرزيت، وتؤسس مع أختها دمية مركز خليل السكاكيني في رام الله عام 1998 وتترك لنا شهادة ثمينة في كتابها «أنا والقدس: سيرة ذاتية» عن الحياة الحضرية والثقافية، وملحقاً بيومياتها في القدس في زمن الحرب: ننشر في «كلمات» كوكبة من تلك الذكريات لجيلٍ آتٍ لا محالة ليُعيد بهاء القدس، كما تقول الأغنية

تقديم واختيار **محمد ناصر الدين**

■ قصة إنشاء الكلية العربية في القدس

كان منزلنا الزوجي الأول في حي باب الساهرة، وهو على خطوات قليلة من سور البلدة القديمة، ومجاور لأبنية استؤجرت لتكون مقرّاً للكلية العربية التي يجب أن يكون مسكننا قريباً منها. وفي هذا المنزل، تأسّس بنيان حياتنا العائلية الهنيئة، وتمّ تعارفي على عشيرتي الجديدة وموطني الجديد. بعد إقامتي فيه ست سنوات، انتقلنا إلى منزل آخر بَنَته الحكومة ليكون مقرّاً لمدير الكلية العربية، وهو تابع لأبنيتها منفصل عنها، لا يجمعه بها إلّا مدخل واحد. وقد قرّر أن تكون أبنية الكلية الجديدة في أرض فسيحة خارج البلدة وإلى الجنوب منها. وهناك اتّخذ المعهد شكلاً لائقاً باسمه، يضمّ غُرفاً متسعة للدرس وأخرى صحيّة للنوم تتسع لأكثر من مئة تلميذ. وخصّصت لهم المختبرات الحديثة وقاعات الاجتماعات والمحاضرات العامة والطعام، وأُقيمت لهم في أرضه الفسيحة الحدائق الزاهرة والأشجار الظليلة والملاعب الواسعة والساحات المُخصّصة لإقامة المباريات المختلفة.

وكانت الأبنية جميعها تبعد أكثر من كيلومتر عن طريق بيت لحم العام، ويحيط بها من بعيد مقرّ المندوب السامي من جهة، وقرية صور باهر من جهة أخرى، ثمّ مستعمرة تل بيوت اليهودية في زاوية ثالثة. وهذه الأبنية جميعها تطلّ على جبال مؤاب من الشرق وعلى قسم كبير من القدس من الشمال. وفي عام 1947، تقرّر إضافة مبانٍ أخرى إلى الكلية العربية وبدء العمل على إنشائها، ولكن اشتداد الاضطرابات بين العرب واليهود، وما تبع ذلك من هجرة، أوقف كلّ بناء في فلسطين وبالطبع توقّف العمل في هذه الأبنية.

وأذكر أنّه كان ما زال هناك نحو مئة ألف جنيه فلسطيني في «بنك باركليز» مخصصة لها. فألّف (زوجي) أحمد قبل تركه القدس لجنة قوامها نافذ الحسيني وأنطوان عطا الله، وعهد إليهما بهذا المبلغ للإنفاق منه على إتمام العمل إذا حدث ما يؤخره هو عن القيام بذلك. وإذا توقّفت الكلية العربية لسبب ما، فإنّ هذا المبلغ يحوّل إلى أي عمل تربوي لعرب فلسطين.

وكانت مدة الدراسة في الكلية العربية أربع سنوات ثانوية وسنتين أو ثلاثاً جامعيتين، وكانت الخطة المرسومة هي إلغاء السنوات الثانوية تدريجاً وتحويلها إلى كلية جامعية، وبُدِئَ بذلك فعلاً سنة بعد سنة، حتّى لم يبقَ حين توقّف العمل إلّا سنة واحدة ثانوية، وكانت الأبنية الجديدة ستُخصّص لهذه الغاية.

وإذا كانت أبنية الكلية قد اندثرت، والآمال المعلّقة عليها توقّفت، فإنها ما زالت حيّة في أبنائها، فقد كانت الكلية هدف كلّ فتى فلسطيني في المدارس الأهلية، ولا يتسنى دخولها إلّا لمن تؤهله دراساته الممتازة ليكون مختاراً من بين رفاقه المتنافسين على الانتساب إليها، فهي أرقى معهد في إدارة المعارف، يقوم على التدريس فيها أساتذة متخصصون في فروعهم من خريجي جامعات أوروبا وأميركا، وتُعطى الدروس حتّى العلمية منها باللغة العربية، وتدرّس الإنكليزية وآدابها كلغة أجنبية، وكان خريجو الكلية يستقبلون بالترحاب من جميع الجامعات التي يقصدونها لتمكّنهم من العلوم التي كانوا يتلقّونها بنجاح وتفهّم.

ولا نزال إلى اليوم، نجد أنّ الكثيرين من الفلسطينيين الناجحين في مختلف الأعمال سواء أكان ذلك في فلسطين ذاتها أو في بلاد الهجرة، هم من خرّيجيها ومن تلامذة أحمد سامح الخالدي، ويفخرون بانتسابهم إليها.

■ سرقة طريفة ولصوص شرفاء

تحضرني هنا قصة طريفة ذات مدلول بعيد على المكانة التي كانت لأحمد في بيئته وبين قومه، وهي أن بيتنا قد تعرّض في إحدى الليالي لسرقة شملت الطابق الأرضي بما فيه من سجاد وفضيات وشراشف ومعاطف وبعض الثياب، حتّى إنّ ستائر النوافذ جذبت من حلقاتها وضُمت إلى المسروقات. وحينما استيقظنا صباحاً، وجدنا الأثاث الثقيل مقلوباً والغرف تكاد تكون خالية. واستُدعي البوليس بالطبع، فأتى بعدده وعدته ومستشاريه الإنكليز وكلاب الأثر، فأخذوا كل التفاصيل والبصمات ولبثوا يومين يعاودون الكرّة من دون جدوى، وذكرت الجرائد حديث السرقة، ثمّ صمت كلّ شيء. وبعد ذلك بأيام قليلة، رنّ جرس التلفون في البيت وقال المتكلم: «أنّ لكم أغراضاً على الطريق العام بين منزلكم وطريق بيت المندوب السامي، فأرسلوا من قبلكم رجالاً يتسلّمونها حالاً، ولا يحاولون البحث عنّا لأنّهم لن يجدوا أحداً بقربها». فوجمنا غير مصدقين، ولكنّنا قرّرنا الاستجابة للطلب، وإذا برجالنا يعودون بعد مدّة قصيرة محملين بأكياس كبيرة جداً من الخيش لم نكد نبادر إلى فك عقدها، فرحين مدهوشين، حتّى فوجئنا بورقة على وجه أحدها كُتِب عليها بخط رديء ولغة ركيكة ما يلي حرفياً: «حضرة الأستاذ أحمد سامح الخالدي المحترم. أبعث إليكم أغراضكم راجين العفو والمعذرة، ولو كنّا نعرفه بيتكم لقطعت الأيدي قبل أن تمتد إليه، وما حصل فهو غلط وقد أصلحناه ودمتم للداعي لكم فلان الفلاني». ولا نزال نحتفظ بهذه الورقة إلى الآن، وقد وجدنا حقّاً أنّ جميع المسروقات قد عادت إلينا حتّى الثياب التي كانت قد اتّسخت بعد ارتدائهم إيّاها.

صورة تاريخية للقدس خضعت للتنقيح على يد منير علاوي عام 2011

■ جهد أدبي نسوي فلسطيني

حينما أسّست الإذاعة في القدس وتسلّم إدارتها صديقنا شاعر فلسطين المرحوم إبراهيم طوقان، دُعيت إلى افتتاح الحديث النسائي فيها، فاخترت أن أتحدث عن سكينة بنت الحسين، لأنّني أعتبرها رائدة في التحرير النسائي والأدب الرفيع. ثمّ توالت أحاديثي متنوعة أغلبها ذات صبغة نسائية، وكذلك سجّلت لي أحاديث من إذاعة لندن، عدا عن مقالات كانت تنشر هنا وهناك. ثمّ عكفت على ترجمة الإلياذة والأوديسة عن الإنكليزية. ومع أنّي نقلتها نثراً عن كتب مقتضبة نسبياً، فإنّي بعد المقابلة بينها وبين المطولات، أقدر أن أجزم بأنّه لم ينقصها أي غرض من الأغراض أو معنى من المعاني الواردة في الأصل المطوّل، وقد التزمت فيها بناء الأسماء الأعجمية بحسب تعريبها من قبل الأديب البحّاثة المدقق سليمان البستاني، الذي ترجمها حرفياً شعراً من أصلها اليوناني عام 1903. وتحفة البستاني الكبيرة هذه، جوهرة من جواهر المراجع في الأدب العربي، فلم يترك شاردة ولا واردة إلّا وعلّق عليها من بحر علمه، وراجعها إلى ما يشبهها في الأدب العربي، ناهيك بالمقدمة التي هي بذاتها مرجع رائع وكنز من كنوز المكتبة العربية. أمّا ترجمتي، فقد تفضّل أديب عصرنا الدكتور طه حسين فوضع لها مقدمة كانت لفخري وتشجيعي. فانصرفت بعد هجرتنا إلى بيروت إلى إضافة ترجمة للإلياذة التي أعتبرها مكملة للاثنتين السالفتين. وكنّا دائماً نتبادل الانتقاد فيما يكتب هو أو أكتبه أنا، فلا تمرّ صفحة من صفحاته إلى المطابع، إلّا بعدما أطلع عليها، كما أنّني لا أكتب كلمة إلّا ويراها قبل أن تأخذ صفتها النهائية، وكثيراً ما أرجعت له خطاباً بكامله لإعادة كتابته من جديد، لاعتقادي أنّه ليس بالمستوى اللائق به، أو أنّه من جهته يُلغي لي مقالاً لا يراه مناسباً، أو نتفق على تغيير بعض الكلمات أو تصليح بعض الفقرات.

■ مواجهة الدعاية الصهيونية

كنت عضوة في لجنة المراقبة على الأفلام، لإبداء وجهة نظر المرأة في ما يعرض منها، كما كان في اللجنة سيدة يهودية أيضاً، عدا بقية الأعضاء، فكنّا نجتمع عند حاكم البلد كلما اقتضت الضرورة، ومن الأعضاء مدير البوليس الإنكليزي ومندوب إدارة المعارف، ومندوبون عن مؤسسات مختلفة، وقد جيء يوماً بفيلم يعرض الجهود الإنمائية القائمة في فلسطين، وطبعاً اغتنم اليهود الفرصة وأدخلوا فيه كل ما يقومون به من جهود جبارة في استيطان الأراضي، وإقامة المصانع، وطرق التدريس وتوجيه العمال الخ... أما الوجهة العربية، فقد تمثّلت بعرب يركبون الزوارق في الأنهر ويحيكون الحصر والخيام لسكنهم وتلبس نساؤهم الملابس التقليدية ويسير أولادهم نصف عراة. ولا أقدر أن أصف ما نالني من الغيظ لهذا التحدي الوقح الذي فاق كل حدّ، فقلت: «لن أسمح بعرض هذا الفيلم، وفيه كل المساس الجارح لشعورنا، وإذا مثلتم الجهة اليهودية بازدهارها، فأين مصانعنا، نحن العرب، وأين جهودنا، وأين بياراتنا التي تصدّر منتوجاتها إلى كل أنحاء العالم؟ وأين أحياؤنا الجميلة ومدارسنا الراقية؟» فردّت السيدة اليهودية بخبث: «إن مناظر هؤلاء البدو جذابة للغاية». فأجبت: «قد يكون، ولكن كان يجب أن يُعرض مقابلها حيّ مشاريم مثلاً، وما يشبهه من أحياء اليهود البدائية». عندها تدخّل الحاكمة وقال: «أعتقد أنّ السيدة خالدي على حق وأطلب إيقاف الفيلم».

❑ المرجع: عنبرة سلام الخالدي ـ «جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين» ـ دار النهار، 1997.

■ القدس موطن الأدب والفن

في صيف كلّ سنة، كان يأتي إلى القدس ضيوف بارزون من الدول العربية المجاورة لإعطاء محاضرات في بعض النوادي، ولقاء الكتّاب والمربين الفلسطينيين. ومن الذين زارونا في البيت، صديق والدي الكاتب المصري الكبير عباس محمود العقّاد. كان شخصية مثيرة للإعجاب، ورجلاً ذا مظهر جليل وملامح نبيلة. ومن مصر أيضاً كان من ضيوفنا الدكتور محمود عزمي، الصحافي والسياسي والمفكر المعروف، وكان ينزل في بيتنا في كلّ مرّة نحو أسبوع برفقة زوجته الروسية المولد، وخريجة جامعة السوربون. وقد زارنا أيضاً الكاتب اللبناني ميخائيل نعيمة. أذكر أنّه كانت له ملامح أثيرية، ملامح فيلسوف وشاعر خالصة. وزارنا الكاتب المصري الشهير طه حسين في تشرين الأول (أكتوبر) 1942.

أحياناً في الصيف، كانت تأتي إلى القدس فرق مسرحية مصرية ضمن جولة في الدول العربية لتقديم بعض العروض. وفي إحدى السنوات، أظن أنّها كانت سنة 1943، حضرنا أنا والعائلة مسرحية اسمها «الستات ما يعرفوش يكدبوا» للممثل الكوميدي الكبير نجيب الريحاني. كانت «سينما صهيون»، حيث عرضت المسرحية، مملوءة عن آخرها. وكان آل فرّاج وآل ديب هناك، كذلك، أتت إلى حضور المسرحية جين زفريادس ووالدها مع أنّهما يونانيان، كان الريحاني مدهشاً. وفي اليوم التالي، عندما كنّا نتحدث بحماسة عن العرض، تذكّرت العمة ميليا المسرحيات التي كانت قد حضرتها قبل سنوات عديدة. ومن الممثلين الذين كنت محظوظة لرؤيتهم على المسرح الأخوان عكاشة الشهيران في مصر، كما شاهدت الممثل التراجيدي جورج أبيض في دور لويس الحادي عشر في المسرحية التي تحمل الاسم نفسه، وأيضاً الممثل المصري الشهير يوسف وهبي في دور الكاردينال في مسرحية «كرسي الاعتراف» (عرضت هذه المسرحية في «جمعية الشبان المسيحية» في صيف عام 1935).

■ تسلية ومسرح عرائس وأجواء رمضانية

هذا يذكرني بنوع آخر من التسلية كان شائعاً وشعبياً في القدس منذ بداية القرن حتّى نهاية العشرينيات؛ كان ذلك مسرح العرائس المسمّى

> اخترت أن أتحدث عن سكينة بنت الحسين، لأنّني أعتبرها رائدة في التحرير النسائي والأدب الرفيع (عنبرة الخالدي)

> شاهدت الممثل التراجيدي جورج أبيض في دور لويس الحادي عشر

«كركوز وعواظ» الذي كان يُقام في مقهى واسع داخل باب دمشق (باب العمود ـ ما زال هذا المقهى قائماً ومزدهراً، وهو أحد المقهيين الواقعين يمين الطريق المؤدي إلى الباب). ففي كلّ سنة، كان يأتي رجل من طرابلس (لبنان) خلال شهر رمضان ليقدّم عرضه لأهالي القدس، وكان الرجال من مختلف الأعمار والخلفيات الاجتماعية يتوافدون إلى المكان لمشاهدة العرض. وقد ذهب أبي عدّة مرات برفقة صديقه الشاعر العراقي معروف الرصافي، وتلميذه السابق جورج خميس. كان العرض يتضمّن شخصين فقط، يؤديهما شخص واحد، الرجل الآتي من طرابلس، الذي كان في رأي والدي ممثلاً موهوباً. لم يكن قادراً على تغيير صوته بين الشخصيتين فقط، بل كان بارعاً في ارتجال مواقف مضحكة أيضاً. كان الحوار يتغيّر من عرض إلى آخر بحسب نوعية الجمهور. فمثلاً، عندما كان يلاحظ وجود أبي وأصدقائه بين الحضور، كان يستخدم إحالات ذكية على موضوعات أدبية، وتلميحات إلى مشكلات اجتماعية وسياسية محلية، ولم يفشل عرضه قط في إثارة الكثير من الضحك. كان محط إعجاب شديد من كلّ من حضره. وفي أثناء العرض، كان العمل في المقهى يستمر كالمعتاد، الرجال يتابعون العرض وهم جالسون على مقاعد منخفضة ذات أربعة أرجل، ويدخّنون النرجيلة ويشربون القهوة التركية. وعندما يأتي رمضان في الصيف، كان العرض يُقام على سطح ذلك المقهى في الهواء الطلق.

كان رمضان يتجلّى في البلدة القديمة أكثر من أيّ مكان آخر في القدس. في ذلك الشهر، كانت البلدة القديمة تستحق المشاهدة في الليل، حيث الجو الاحتفالي جَليّ في كلّ مكان. فحتّى أصغر دكان كان مُضاءً ومزيناً، لكن مركز الجاذبية كان محلات الحلويات، التي كانت تمتلئ بصوان كبيرة تتكدّس فيها الحلويات العربية: كرابيج حلب، بورمة، بقلاوة، كنافة، بوغاشة، زنود الست، أصابع زينب، كول وشكور، مطبّق، وطبعاً القطايف التي لا تصنع إلّا في رمضان، تلك الفطائر الدائرية الصغيرة المطوية على شكل نصف دائرة، والمحشوة بالجوز المجروش أو الجبنة الحلوة والسكر، والتي تُخبز بعد أن تُدهن بالزبدة، وعندما تخرج من الفرن تُشرّب بالقطر وتؤكل ساخنة. لا يمكن تصور رمضان من دون قطايف.

في إحدى ليالي رمضان، ذهبنا أنا ودمية مع سريّ وصديقه ياسر عمرو في سيارة أجرة إلى باب يافا (باب الخليل)، ومنه دخلنا البلدة القديمة سيراً على الأقدام: نزلنا الدرجات عبر السوق، ثمّ استدرنا في منتصف الطريق إلى اليسار أسفل التلّة ومشينا مسافة طويلة عبر الأسواق وصولًا إلى باب دمشق (باب العمود) حيث عدنا بالسيارة إلى القطمون. وعلى امتداد هذا الطريق، كانت مظاهر رمضان في كلّ مكان، الأزقة الضيقة مزدحمة بالناس، والمقاهي مملوءة بالزبائن، وهنا وهناك، يقف رجل قرب الجدار في إحدى الزوايا، وأمامه صينية على حامل ثلاثي الأرجل يبيع صنفاً أو آخر من الأطعمة الشهيّة: تفاح الشام، وهو مصاصة حمراء على شكل تفاحة على أعواد طويلة؛ غزْل البنات، وهي حلوى وردية منفوشة مثل القطن ومصنوعة من السكر؛ تمرية، وهي مثلثات من العجين محشوة بالقشطة ومغطّسة بالقطر؛ الكعكبان، وهو شرائط طويلة من حلوى السكر. ويتجوّل بين الجموع رجل يحمل على صدره صندوقاً زجاجياً كبيراً مُعلّقاً حول رقبته بحمّالة من الجلد. كان هذا بائع البرازق، وهي كعكات دائرية رقيقة مقرمشة ومغطاة بالسمسم، وهي حلوى أخرى لا تظهر إلّا في رمضان. وكان رمضان أيضاً موسماً جيداً لمحلات بيع التسالي (جميع أنواع المكسرات والبذور المملحة).

■ ليالي السمر في رام الله وعين كارم

كان ثمّة مزيد من مثل هذه المقاهي، أو بالأحرى الفنادق، في بلدة رام الله الصغيرة غرب القدس، وكانت هي الأخرى ذات شعبية كبيرة. في الصيف، تكون حركة المواصلات إلى رام الله كثيفة، وخصوصاً في عطل نهاية الأسبوع. كان والدي يفضّل رام الله على بيت جالا، ولهذا كنّا نذهب إليها أكثر. فندقنا المفضل هناك كان فندق «غراند» (الذي كان أيضاً يُعرف بفندق عودة) بحديقته الواسعة التي تظلّلها أشجار الصنوبر. وكنّا نذهب أيضاً إلى فندق قصر الحمرا وفندق حرب. ولأن رام الله كانت منتجاً صيفياً، فقد كنّا نلتقي في الفندق أصدقاء جاؤوا من يافا وحيفا لتمضية إجازاتهم الصيفية. كانت الحلقة حول طاولتنا تتسع وتتسع بانضمام مزيد من الأصدقاء إلينا.

في أيام أخرى، كنّا نذهب إلى عين كارم، تلك القرية الجميلة الواقعة إلى الجنوب الغربي من القدس، التي تنتشر بيوتها الحجرية البسيطة على سفح الجبل مواجهة الغرب. وما إن نصل إلى هناك حتّى يذهب أبي مباشرةً إلى أحد المقاهي في الهواء الطلق ليدخّن النرجيلة، بينما نتمشّى أنا ودمية والعمّة ميليا صاعدين الجبل على الطريق الموصل إلى الدير الروسي، ومن هناك، كان المشهد من حولنا يخطف الأنفاس. كنّا نرى الجبال تنحدر نحو الوادي بمصاطب أنيقة مزروعة، وفي كلّ مكان أضفت خضرة الكروم والخضر وأشجار الفاكهة العديدة على المشهد مزيداً من الجمال. كنّا أحياناً نمشي في الاتجاه المعاكس إلى نبع القرية، حيث نشاهد النساء الفلاحات وهنّ يملأن جرارهن الفخارية ذات الأشكال الجميلة بالماء. كنّا نجد هناك العديد من النساء مقبلات ومدبرات، وجميعهن يحملن الجرار على رؤوسهن بحذر، ويمشين بعفوية ورشاقة، والأجمل كانت الفتيات اللواتي في عمر العاشرة أو الحادية عشرة، بثيابهن الفلاحية الفضفاضة وهنّ يحملن جراراً أصغر على رؤوسهن.

■ من شرفة آل ديب إلى جبل هيرتسل

في بقعة مرتفعة على الطريق الرئيسي، على بعد عدّة كيلومترات من عين كارم، كان هناك مقهى شعبيّ آخر يرتاده المقدسيون في الصيف، كان يُسمّى «الشرفة»، الذي يعني المكان المرتفع. وقبالة هذا المقهى إلى الغرب كانت ملكية آل ديب، وتمتد مسافة كبيرة من أعلى الجبل إلى عدّة مصاطب على السفح. ومن أي بقعة في هذه الملكية كان المشهد مهيباً. بعد حرب 1948، حوّلت إسرائيل هذا المكان إلى ساحات تذكارية، وقد أصبحت ملكية آل ديب التي كنّا كثيراً ما نتنزه فيها مع أصدقائنا، عائلة شكري ديب وعائلة أنسطاس حنانيا، تُعرف الآن باسم جبل «هيرتسل»...

❑ المرجع: هالة السكاكيني ـ «أنا والقدس: سيرة ذاتية» ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ 2019

طوفان الأقصى

عام مليان سكّات

أمين حداد*

قد كان عاماً
برداً سلاماً
خالي تماماً
من الآهات
قد كان عاماً مليان سكات
لا حد ساوم
ولا حد قاوم
ولا حد مات
ولا العدوة ضربت بقوة
مستشفيات
لا ليل بنفزع
ولا نور بيقطع
على حضانات
قد كان عاماً تافه وعابر
فتح المعابر للشاحنات
ولا أي حاجة حصلت
قصادنا على الشاشات
ولا المراسل
ببدلة واقية
وأهله ماتوا
بيعدّ شهدا بعد الغارات
قد كان عاماً مالوش صلات
بأي عام من اللي فاتوا
لا ليه أغّاني ولا أماني ولا
ليل وعين
ولا دنيا كالت بمكيالين
قد كان عاماً حضر وولى
لا رفعنا فيه في ميدان مسلة
ولا سبنا معبد ولا أهرامات
قد كان عاماً
ضاحك وعابس
خالي تماماً من الحوادث
في وسط حركة كل
الحاجات
واقف ثبات
قد كان عاماً
وكان عصراً
عصرنا عصراً
وسابنا أطرى من النبات.

* شاعر مصري ابن الأب المؤسس لشعر العامية المصرية
فؤاد حداد (1928 ـ 1985)

عبد عابدي ـ «جدار وكوفية» (مواد مختلفة ونسيج واكريليك على كانفاس ـ 89,5 × 79,5 سنتم ـ 2005)

Samedi 30 Decembre 2023 no94
السبت 30 كانون الأول 2023 العدد 94

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

«جينوسايد» جو أمام محكمة أميركية [2]

الطريقة الفرنسية

4,185 فرنسي في جيش العدو الاسرائيلي

[4]

(الرقم بحسب اذاعة Europe 1)

جرائم الاحتلال

«جينوسايد» أمام محكمة أميركية

عمر نشابة

سعى الرئيس الأميركي جو بايدن المتّهم مع كبار مساعديه أمام محكمة فدرالية أميركية بالضلوع في ارتكاب جريمة إبادة جماعية في غزة، إلى الدفاع عن نفسه بحجّة أنّ المساعدات الأميركية لإسرائيل لا تؤثر على قراراتها. وادّعى بايدن، الذي بات يُعرف في بعض الأوساط الأميركية بـ«جينوسايد جو» (جو الإبادة الجماعية)، أن إسرائيل كانت ستتخذ القرارات نفسها التي اتخذتها في غزة حتى لو امتنعت الولايات المتحدة عن مساعدتها.

لكن الرئيس الأميركي السابق رونالد ريغان كان قد دحض هذه الحجة قبل 41 عاماً. فبعد قصف إسرائيلي مركّز ودموي على أحياء في بيروت عام 1982 وسقوط العديد من المدنيين، اتصل ريغان هاتفياً برئيس وزراء العدو يومها مناحيم بيغن، وطالبه بوقف استهداف المدنيين مهدداً بسحب الوسيط الأميركي (فيليب حبيب).

محامو مركز الحقوق الدستورية الذين تقدّموا بالشكوى القضائية نيابة عن فلسطينيين وأميركيين قتل الجيش الإسرائيلي أقاربهم في 14 تشرين الثاني الفائت أمام محكمة أوكلاند، قدموا الأسبوع الفائت إلى القاضي الفيدرالي جيفري وايت مذكرة أشاروا فيها إلى أن حجة بايدن لرفض الشكوى ساقطة، إذ إن موقف سلفه ريغان عام 1982 «أدى يومها إلى فرض وقف إطلاق النار في غضون 30 دقيقة». كما اعترض فريق المحامين على حجة إدارة بايدن بأن المساعدات العسكرية الأميركية لإسرائيل هي قرار سياسي لا يمكن الطعن فيه في المحكمة. وذكّر المحامون بأن الدائرة التاسعة من محكمة الاستئناف الأميركية حكمت عام 2004 في قضية متعلّقة بهجمات المستوطنين الإسرائيليين، وأقرّت بأن مسألة ما إذا كان الاعتداء على السكان يُعد إبادة جماعية «هي مسألة قانونية بحتة».

وتسعى الدعوى إلى إصدار أوامر من المحكمة تُلزم مسؤولي الإدارة باتخاذ «كل التدابير التي في حدود سلطتهم» لإنهاء قصف غزة و«وقف عرقلة محاولات المجتمع الدولي لتنفيذ وقف إطلاق النار» الذي استخدمت الولايات المتحدة حق النقض ضده في مجلس الأمن الدولي.

المتهمون بايدن وبلينكن واوستن

وزارة العدل الأميركية كانت قد قدمت في 8 كانون الأول الجاري مذكرة إلى المحكمة مدّعية أن الدعوى لا أساس لها من الناحية القانونية ويجب رفضها. علماً أن المتهمين في هذه القضية هم بايدن ووزير الخارجية أنتوني بلينكن ووزير الدفاع لويد أوستن. وحدد القاضي يوم 26 كانون الثاني موعداً لجلسة استماع بشأن طلب المدعين إصدار أمر قضائي بحق المتهمين وطلب الحكومة رفض الدعوى.

تؤكد الدعوى القضائية أن تصرفات إسرائيل، والدعم السياسي والمالي الذي تقدمه الولايات المتحدة، يتناسب مع التعريف القانوني للإبادة الجماعية في المعاهدة الدولية، إذ إن السلوك «بقصد التدمير، كلياً أو جزئياً، جماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية» يشكل جريمة إبادة جماعية. وقد وافق مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة على المعاهدة عام 1987، واللافت أن بايدن كان يومها عضواً في مجلس الشيوخ عن ولاية ديلاوير.

مضمون الشكوى

يتضمن ملف الشكوى القضائية قضية أحمد أبو فول الذي فقد أكثر من 60 فرداً من عائلته جراء القصف الإسرائيلي على غزة. كما يتضمن الملف سيدة مسنة في غزة تعيش على مياه البحر المغلية منذ 70 يوماً وقد منعتها إسرائيل من الذهاب إلى المستشفى. وقد أفاد الطبيب عمر النجار أن الأطفال الذين عاينهم في المستشفى بغزة يعانون من الجفاف الشديد وسوء التغذية. ويدل ذلك على حرب التجويع والإبادة التي يشنها العدو الإسرائيلي بمساعدة الولايات المتحدة على غزة المحاصرة.

> **تؤكد الدعوى أن تصرفات إسرائيل، والدعم السياسي والمالي الاميركي لها يتناسب مع التعريف القانوني للإبادة الجماعية**

كتب محامو المدعين في الشكوى القضائية: «نصف سكان غزة يعانون من الجوع، و90% يُحرمون بانتظام من الطعام لمدة يوم كامل، ولا يزال الوصول إلى المياه النظيفة مستحيلاً، والأمراض المعدية تنتشر بسرعة».

وتضمّن الملف أيضاً إفادة جوش بول الذي عمل لأكثر من 11 عاماً كموظف في وزارة الخارجية الأميركية ومسؤول عن الموافقة على نقل الأسلحة العسكرية إلى الخارج. قال بول إنه استقال في 20 تشرين الأول الفائت لأن الولايات المتحدة «تسمح بنقل الأسلحة إلى إسرائيل ويمكن استخدامها لارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان».

وقد وصل حجم الدعم الأميركي إلى 3,8 مليارات دولار سنوياً كمساعدات عسكرية لإسرائيل. وطلب بايدن من الكونغرس 14 مليار دولار إضافية. لكن محامي وزارة العدل أعلم القاضي وايت في مذكرة 8 كانون الأول أنه حتى لو أمرت المحكمة بقطع المساعدات الأميركية «ليس هناك ما يشير إلى أن ذلك سيغيّر العمليات العسكرية الإسرائيلية بطريقة من شأنها معالجة الإصابات المزعومة للمدعين».

وكان الرئيس جو بايدن قد صرّح في 12 كانون الأول الجاري أن إسرائيل قد تفقد الدعم الدولي بسبب «قصفها العشوائي» لغزة، لكن الولايات المتحدة «لن تفعل أي شيء سوى حماية إسرائيل».

بايدن يمنع وقف اطلاق النار

بأمر من الرئيس جو بايدن، استخدم مندوب الولايات المتحدة الأميركية حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن الدولي عدّة مرّات في مجلس الامن الدولي لمنع صدور قرار يفرض وقف فوري لإطلاق النار. ففي 26 تشرين الأول اعترضت الولايات المتحدة الأميركية على قرار قدمته روسيا بشأن وقف إطلاق النار في غزة لأسباب إنسانية. وفي 8 كانون الأول استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية حق النقض (الفيتو) ضد قرار قدمته الإمارات العربية المتحدة ويدعو لوقف اطلاق النار. علماً ان مشروع القرار حظي بتأييد أكثر من 80 دولة.

تدمير النظام الصحي في غزة: الاستراتيجية العسكرية الأساسية للحرب

ملاك سلوم

"كانت الاستراتيجية العسكرية الأساسية للحرب تفكيك النظام الصحي. عندما يقتل طبيب الكلى الوحيد في غزة، ويقتل أخصائي علم الأمراض الوحيد في مستشفى السرطان، ويصاب رئيس قسم جراحة الأعصاب باستهداف منزله... فإن الفكرة هي خلق كارثة تغذي نفسها بنفسها مع تدمير البنى التحتية والمجاري"، هكذا يلخّص الجرّاح الفلسطيني غسان أبو ستة حرب الاحتلال التدميرية على القطاع الصحي في قطاع غزة.

مع دخول الحرب شهرها الثاني، في 11 تشرين الأول 2023، أصدر «القوس» عدداً بعنوان «محرقة المستشفيات». وعلى مشارف الشهر الثالث من الحرب، لم نعد أمام مشهد انهيار قطاع صحي وتدرير للاستهدافات فحسب، بل كارثة بكل ما تعنيه الكلمة، تشمل كل الشرائح السكانية في القطاع تاركة تداعيات طويلة الأمد.

المستشفيات والمراكز الصحية التي تحولت إلى مراكز نزوح للمدنيين، أصبحت شاهدة أيضاً على فظائع إنسانية ارتكبها الاحتلال خلال استهدافه ومحاصرته واقتحامه المستشفيات والتنكيل بالنازحين والطواقم الطبية والحرمان من الغذاء والماء، وصولاً إلى الإعدامات الميدانية واستخدام الأطباء والمدنيين دروعاً بشرية.

بالارقام

مع خروج كافة مستشفيات شمال غزة عن العمل، أدى نقص الوقود والهجمات الإسرائيلية الجوية والمدفعية المتكررة على مستشفيات غزة وضواحيها إلى خروج 23 مستشفى (من أصل 35) و 53 مركزا صحيا و 141 مؤسسة صحية من الخدمة، فيما بلغت نسبة الإنشغال السريري في مستشفيات الجنوب 350%.

وفي ظل الاستهداف «الإسرائيلي» الممنهج لركائز القطاع الطبي، استشهد 311 كادراً صحيا ونحو 600 مدني، ودُمّرت 102 سيارة اسعاف، واعتقل 99 كادراً صحياً على رأسهم مدراء مستشفيات شمال غزة د.محمد ابو سلمية (مستشفى الشفاء) ود.أحمد الكحلوت (مستشفى كمال عدوان) ود.احمد مهنا (مستشفى العودة).

ومع دخول القطاع الصحي مرحلة المفاضلة بين المرضى وعدم تغطية المساعدات أكثر من 2% من الحاجات، أشارت منظمة «أطباء بلا حدود» إلى أن «الأطباء يمشون على جثث الأطفال القتلى لعلاج الأطفال الآخرين الذين سيموتون على أي حال. ويجري تشييد المزيد والمزيد من المهاكل المؤقتة وتُستخدم الخيام كعيادات مؤقتة».

احكام إعدام منتظرة

الاف المرضى والجرحى والحوامل ينتظرون أحكام إعدام مؤجلة، و 800 الف مواطن متروكون في الشمال من دون خدمات طبية، فضلاً عن «استشهاد العشرات داخل منازلهم لتعذر نقلهم للمشافي إما لخروجها عن الخدمة، وإما لخضوع مناطقهم لتوغلات إسرائيلية، إضافة إلى آخرين يموتون يومياً بسبب استهداف المستشفيات وقطع الإمدادات الإنسانية».

وفي ظل قطع الاحتلال للإمدادات الإنسانية والأدوية والوقود، تزداد مخاطر استشهاد العشرات من الفئات الأكثر ضعفاً من مرضى السرطان والأمراض المزمنة، والحوامل، والمواليد الجدد.

النساء: نحو 50 الف سيدة حامل في مراكز الايواء بلا ماء وبلا طعام وبلا رعاية صحية و نحو 180 سيدة

> **أكثر من 9000 شخص استشهدوا بسبب عدم القدرة على علاجهم و1000 طفل بُترت أطرافهم من دون تخدير، ووثّقت عدة حالات من الموت جوعاً**

يلدن يومياً في ظروف غير آمنة وغير انسانية.

- تواجه الحوامل احتمال الولادة من دون تخدير أو احتياطات صحية أو تدخل جراحي إذا لزم الأمر.
- تشير التقديرات إلى أن ما لا يقل عن 15 في المئة من هذه الولادات تواجه مضاعفات تتطلب رعاية توليدية أساسية أو شاملة. وأفادت تقارير بوفاة العديد من النساء قبل الولادة أو خلالها.
- أكثر من 690 الف امرأة وفتاة في فترة الحيض لا يحصلن إلا بشكل محدود على مستلزمات النظافة الخاصة بالدورة الشهرية، وفقاً لصندوق الأمم المتحدة للسكان.
- أجبر قصف الاحتلال مراراً أجنحة الولادة وعيادات الصحة الإنجابية على الإغلاق أو الانتقال إلى مكان آخر.
- وُثّق العثور على 5 أطفال رضع موتى وبحالة تحلل في حضانة مستشفى النصر شمال القطاع بعدما تركهم الاحتلال لثلاثة أسابيع، عقب إجبار الكادر الطبي والمرضى على إخلائه.

المرضى وذوو الاحتياجات الخاصة

- أكثر من الفي مريض بالسرطان، وأكثر من الف مريض كلى ونحو 50 الفا من مرضى القلب والأوعية الدموية، وأكثر من 60 الف مريض بالسكري، بحاجة للخدمات الطبية العاجلة، ولم يعودوا يحظون بأولوية كافية في مرافق الرعاية الصحية المكتظة بسبب الافتقار إلى الموظفين والأدوية والحيز المكاني والمعدات والموارد اللازمة للعلاج.
- اضطر ذوو الاحتياجات الخاصة لترك منازلهم المجهّزة بالأجهزة اللازمة، أما الأشخاص ذوو الإعاقات البصرية أو السمعية أو النمائية أو الذهنية فيواجهون صعوبة أو قد لا يسمعون ما يحدث أو يعرفون عنه أو يفهمونه.

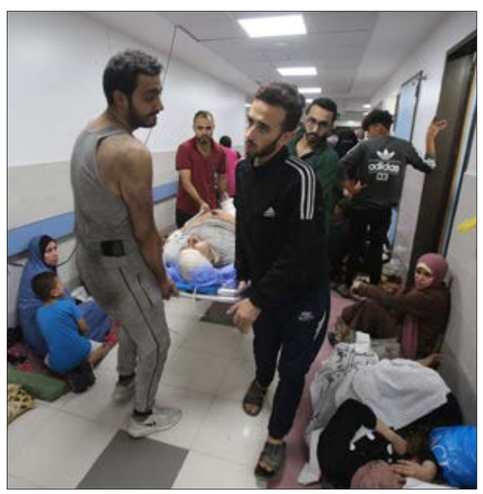

الاوبئة والامراض

خلال تشرين الثاني، سُجّلت أكثر من 50 حالة إسهال شديد نحو نصفها لأطفال أصغر من خمس سنوات

منها أكثر من 5 الاف حالة إصابة بجدري الماء، و18800 إصابة طفح جلدي، و10 آلاف إصابة بالجرب، وعشرات الاف حالات الإصابة بالإنفلونزا الشديدة

- أكثر من 20 الف حالة مرتبطة بعدوى في الجهاز التنفسي العلوي في الأسبوع الأول من كانون الأول
- 900 الف طفل في مراكز الايواء يعانون خطر الجفاف والمجاعة
- أمراض الجهاز الهضمي والتنفسي والامراض الجلدية وفقر الدم

تداعيات صحية طويلة الامد

يوضح المتخصص بالأمراض الجرثومية الأستاذ الجامعي ومسؤول قسم الأمراض الجرثومية في مستشفى الشيخ راغب حرب الجامعي، الدكتور تحسين محفوظ، لـ«القوس» أن ظروف الإيواء والنزوح مع اكتظاظ قياسي وبنى تحتية متهالكة وتلوث المياه الجوفية، إضافة إلى انعدام شروط النظافة والتعقيم والتخزين في الشراب والطعام وسوء التغذية، كلّها عوامل تؤدي إلى تفشي الأوبئة والأمراض كالجرب والقمل والكوليرا والسل والتيفوئيد والإسهال والتسمم الغذائي.

ويلفت إلى أن هذه التداعيات لا تنتهي بمجرد فتح معبر رفح، بل يجب إلى حين إعادة الإعمار بناء مراكز إيواء ومستشفيات ميدانية قائمة على بنى تحتية سليمة، ومن دون ذلك «سيبقى الكثير من هذه الأمراض»، محذّراً من خطورة بقاء جثامين الشهداء بين الأفراد في المستشفيات واحتكاكها مع أجساد النازحين والمصابين.

حصار مصري مستمر وتواطؤ المنظمات الإنسانية

كل المعطيات والشهادات الصادمة حول أوضاع القطاع الصحي، لم تدفع الحكومة المصرية الخاضعة للاحتلال «الإسرائيلي» إلى فتح معبر رفح لمرور المرضى والجرحى ممن هم بحاجة ماسة للعلاج، و لم يتمكن سوى 1% فقط من الجرحى من المرور عبر المعبر، في وقت يحتاج ما لا يقل عن 8 آلاف جريح إلى تدخل طبي عاجل وفوري. وأدى التأخير في الحصول على «الموافقة الأمنية» من الجانب المصري إلى استشهاد البعض منهم (المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان).

في غضون ذلك، لا تزال المنظمات الإنسانية تلعب دوراً مشبوهاً، بالتواطؤ مع الاحتلال وتنصّلها من مسؤولياتها، (راجع «القوس»، تواطؤ الأونروا والصليب الأحمر الدولي؟)، إلى جانب التقارير التي أفادت بأن منظمة الصحة العالمية ربما تكون قد سهلت، عن غير قصد أو عن علم، اختطاف جيش الاحتلال لمسؤولين طبيين.

جلجلة مستشفى الشهيد كمال عدوان

الثلاثاء 5/12/ 2023	الاحتلال يحاصر المستشفى بالدبابات والقناصة يطلقون النار على كل من فيه
الخميس 7/ 12/ 2023	الاحتلال الإسرائيلي يخرج المستشفى عن الخدمة وهو المستشفى الوحيد المتبقي شمالي القطاع
الأثنين 2023/12/11	القوات الإسرائيلية تقصف قسم الولادة في المستشفى بشكل مباشر ما أدى لمقتل سيدتين وطفليهما وبتر أقدام سيدة ثالثة.
الثلاثاء 2023/12/12	اعتقال مدير المستشفى الدكتور أحمد الكحلوت، واقتياده وأكثر من 70 من الكوادر الصحية إلى خارج المستشفى الى جهة غير معلومة.
السبت 2023/12/16	دفن مصابين ومواطنين فلسطينيين وهم أحياء في ساحة المستشفى، وتنفيذ عمليات تجريف داخل المستشفى تدمير الجزء الجنوبي منه بالكامل قبل الانسحاب.
الاحد 2023/12/17	إطلاق النار أطباء على أثناء عقدهم مؤتمرًا صحفيًا من مستشفى كمال عدوان شمال غزة، لشرح ما يتعرض له المستشفى من انتهاكات ترتكبها قوات الاحتلال.
خلال الاسبوع الفائت	- اقتحمت قوات الاحتلال المستشفى وحولت أسطحه ومبانيه إلى ثكنات عسكرية. - فرض حصاراً على الموجودين داخل المستشفى وحرمتهم من الحصول على الطعام والماء. - إخلاء غالبية من كان في المستشفى، الذي كان به 65 إصابة و12 طفلا في العناية المركزة و6 أطفال خدج و2500 نازح و100 من الكوادر الطبية، وإجبار الذكور على خلع ملابسهم، واحتجازهم بالعراء أن تعتقل منهم حوالي 50-60 شخصًا - تدمير البوابات الخارجية، وجزءاً من مبنى الإدارة والصيدلية وأحرقت مخزن الأدوية قبل تدميره، ودمرت بئر المياه ومولد الكهرباء ومحطة الأكسجين. - حفر حفرة كبيرة في ساحة المستشفى ونبش حوالي 26 جثة لقتلى دفنوا في أوقات سابقة في المكان لتعثّر دفنهم في المقابر، وإخراجهم بشكل مهين وحاط بكرامة الميت. - إجبار مدنيين على حمل السلاح وتصويرهم على أنهم مسلحين. - استشهاد أحد المسنين نتيجة الجوع والعطش داخل المستشفى. - استشهاد جريح بعدما أطلقت القوات "الإسرائيلية" تجاهه أحد كلابها ونهشها جسده قبل استشهاده. - استشهاد عدد من الأطفال والمرضى داخل غرفة العناية المركزة، نتيجة عدم تلقيهم الرعاية الصحية الملائمة.

المصدر: المرصد الاورومتوسطي لحقوق الإنسان+ وزارة الصحة في غزة

جرائم الاحتلال

تجنيد المرتزقة في الكيان الصهيوني جريمـة دولية

لونا فرحات

تتزايد الشكوك حول استخدام اسرائيل للمرتزقة مع عدم اعلان حكومة العدو عن الارقام الحقيقية لقتلاها ويرى البعض أن ذلك يعود لكون أن القتلى غير المعلن عنهم هم اجانب مقاتلين غير مسجلين في الجيش الاسرائيلي لذلك لا يتم احصاؤهم رسميا . شكوك اكدتها تقارير عدة من بينها صحيفة الموندو الأسبانية التي اجرت مقابلة مع مرتزق اسباني شهير عرف عنه بقتاله في اوكرانيا مؤخرا وانتقل للقتال في الكيان الصهيوني مقابل مبلغ مالي يصل إلى أكثر من 3 الاف يورو في الاسبوع مع اعترافه أنه انضم إلى القوات الاسرائيلية لأسباب اقتصادية في الدرجة الاولى. وتحدثت تقارير أخرى عن مقتل سبعة من الاوكرانيين في حي الشجاعية في غزة، لكن اوكرانيا نفت باسم وزير خارجيتها أن تكون قد ارسلت أي من جنودها إلى قطاع غزة، أو إلى أي منطقة في العالم وأن من تم رصدهم في الشجاعية ربما اسرائيليون من أصول سلافية أو اوكرانية .

الحديث عن استخدام اسرائيل للمرتزقة في حربها المستمرة ضد الفلسطينيين ليس بالجديد، فقد كشف تقرير للمرصد الاورومتوسطي لحقوق الانسان في العام 2013 عن أن اسرائيل تجند في جيشها مرتزقة (من اليهود ومن غير اليهود على حد سواء) من معظم الدول الأوروبية. ولفت تقرير المرصد أن عملية التجنيد كانت تتم في الكيان الصهيوني على مدار عشرات السنين وكان وسيلة لتمكين سلطات الاحتلال على الاراضي الفلسطينية لكن الجديد في الأمر ، هو ارتفاع وتيرة عملية التجنيد خلال الخمس سنوات الماضية لاستخدام مرتزقة في الدفاع عن المستوطنات وقمع المظاهرات الفلسطينية . أما عن نشاط تجنيد المرتزقة فيتم بواسطة منظمات صهيونية مرتبطة بجماعات يهودية وبيمنية متطرفة اوروبية . وقد اعتمد التقرير على عدة مصادر لتأكيد معلوماته من بينها لقاءات مباشرة مع مجندين سابقين من عدة دول ابرزها النرويج وهولندا وفرنسا وبريطانيا كذلك استقى التقرير معلوماته من وسائل اعلام المانية كشفت بالاسماء والصور عن مئات الألمان الملتحقين بالجيش الاسرائيلي ومنهم من شارك في عمليات عسكرية ضد غزة في ديسمبر 2008 ونوفمبر 2012.

إن تجنيد المرتزقة في الجيش الاسرائيلي يعود تاريخه منذ نشأة الكيان الصهيوني، فقد كان سلاح الجو في العام 1948 يعتمد اللغة الانجليزية بدلا من العبرية لأن أكثر العاملين فيه كانوا من جنسيات مختلفة من غير اليهود. وهو ما أكدته دراسة صدرت في يوليو 2002 أعدها عقيد متقاعد صهيوني يدعى اليعازر اسحاق وعنوان دراسته: المرتزقة في الجيش الاسرائيلي، يكشف في 230 صفحة عن حقيقة استخدام الكيان الصهيوني للمرتزقة. تؤكد الدراسة مشاركة العديد من العسكريين الاوروبيين في حرب العام 1948 وانضمامهم إلى العصابات الصهيونية مثل البالماخ والهاجاناه. وكان بن غوريون من أكثر المؤيدين لاستخدام هؤلاء نظرا لخبرتهم العسكرية وذلك لحاجة الكيان آنذاك لتأسيس قاعدة اساسية قوية للجيش تمكنه من مواجهة العرب . وبحسب الدراسة أيضا، فإن عام 48 على العرب كان بفضل هؤلاء المرتزقة. وفي العام 1950 اعترف الكيان بفضلهم مانحا إياهم الاوسمة الرفيعة والجنسية الإسرائيلية. تجنيد المرتزقة والاعتماد عليهم منذ ذلك الوقت يأتي تطبيقا لقواعد العقيدة القتالية الصهيونية التي وضعها بن غوريون والتي تنص على التطوير المستمر في عمل الجيش والاعتماد على غير اليهود في المواجهات العسكرية لذلك تم تخصيص ميزانية ضخمة لتطبيق هذه العقيدة ، فالهدف هو تقليل الخسائر البشرية وسط اليهود . وعلى أساس هذه العقيدة خاض المرتزقة إلى جانب قوات الكيان الصهيوني حرب الـ 56 و67 وكما شاركوا أيضا في اجتياح جنوب لبنان عام 82. وتحتوي الدراسة على تفاصيل بروبيا مرتزقة أتوا من دول اوروبية عدة والهدف الوحيد لديهم هو الحصول على المقابل المالي .

وتكشف أيضا أن المرتزق يحصل على 7 الاف دولار مقابل قتله لأحد اعضاء المقاومة الفلسطينية و14 الف دولار عند قتله لأحد زعماء الجماعات الفلسطينية المسلحة والمبالغ ترتفع كلما كان الهدف ينتمي إلى الرتب العليا. و ان الجيش الاسرائيلي يعمد إلى استخدام المرتزقة ايضا لمداهمة بيوت الفلسطينيين وملاحقتهم في الضفة الغربية واقتحام المخيمات كمخيم جنين. (الدراسة منشورة على موقع اسلام ويب)

فما حكم المرتزقة في القانون الدولي ؟

المرتزقة كظاهرة دولية، تزايد الحديث عنها في فترة ستينيات وسبعينات القرن الماضي، ولقيت اهتماما كبيرا من قبل الأمم المتحدة بسبب ما شهدته الدول الافريقية من نشاط ملحوظ للمرتزقة الأجانب كان لهم دورا بارزا في الحروب الأهلية التي اندلعت في تلك الدول بعد استقلالها عن المحتل الأوروبي، وارتبط استخدامهم بأنشطة شكلت انتهاكا لحقوق الانسان .

المرتزقة في القانون الدولي الإنساني: ليس لهم صفة اسير حرب

ينص البروتوكول الأول الإضافي1977 لاتفاقيات جنيف، في المادة 47 منه على أنه " لا يجوز

> عام 1948 كان سلاح الجوّ يعتمد الانجليزية بدلاً من العبرية لأن أكثر العاملين فيه كانوا من جنسيات مختلفة من غير اليهود

للمرتزق التمتع بوضع المقاتل أو أسير الحرب . و المرتزق هو اي شخص يجرى تجنيده خصيصاً، محلياً أو في الخارج، ليقاتل في نزاع مسلح، و يشارك فعلاً ومباشرة في الأعمال العدائية، ويحفزه أساساً إلى الاشتراك في الأعمال العدائية، الرغبة في تحقيق مغنم شخصي، ويبذل له فعلاً من قبل طرف في النزاع أو نيابة عنه وعد بتعويض مادي يتجاوز بأفراط ما يوعد به المقاتلون ذوو الرتب والوظائف المماثلة في القوات المسلحة لذلك الطرف أو ما يدفع لهم، وليس من رعايا طرف في النزاع ولا متوطناً بإقليم يسيطر عليه أحد أطراف النزاع، وليس عضواً في القوات المسلحة لأحد أطراف النزاع، وليس موفداً في مهمة رسمية من قبل دولة ليست طرفاً في النزاع بوصفه عضواً في قواتها المسلحة

وبناء على التعريف المقدم اعلاه، ليكون الشخص مرتزقا يتعين أن تتحقق الشروط المذكورة في المادة 47 مجتمعة، فإذا لم تنطبق عليه احداها فلا يخضع لنص المادة . وفي حال توافرت كلها، فإن الشخص يعتبر مرتزقا ويفقد الحماية القانونية فلا يعامل معاملة المقاتل أو أسير حرب . وتعتبر هذه المادة من قواعد القانون الدولي الانساني العرفي. والمفارقة أن كتيّب للتعليم في الجيش الاسرائيلي ينص على هذه القاعدة ؛ على أنه يجب توفير المحاكمة العادلة للمرتزق وفقا للمادة الرابعة من اتفاقية جنيف الثالثة .

استخدام المرتزقة جريمة دولية

مما تقدم يتضح أن القانون الدولي الانساني لا يتناول مشروعية انشطة المرتزقة ولا يحدد مسؤوليتهم ولكن يحدد وضع المرتزق كما ذكر ، ولكن القانون الدولي العام يحظر بشكل صريح استخدام المرتزقة في النزاعات المسلحة ويعتبرها جريمة دولية وفقا للاتفاقية الدولية لمناهضة تجنيد المرتزقة واستخدامهم وتمويلهم وتدريبهم لعام 1989 والتي دخلت حيز النفاذ في 20 اكتوبر من العام 2001 . وبلغ عدد الدول الاعضاء فيها 30 دولة، اسرائيل ليست من ضمنهم . تبنت الاتفاقية تعريف المرتزقة الوارد في المادة 47 من البروتوكول الأول الملحق باتفاقية جنيف، ولكنها أيضا توسعت في المفهوم ، فلا يكفي توافر الشروط الواردة والمذكورة اعلاه، بل اعتبرت ان كل من يرتكب الاعمال التالية يكون قد ارتكب جريمة وهي : تجنيد المرتزقة او استخدامه أو تمويلهم أو تدريبهم (المادة 2)المشاركة بشكل مباشر في الأعمال العدائية أو في أعمال عنف مدبرة كمرتزق (المادة 3)»محاولة ارتكاب إحدى الجرائم المنصوص عليها في الاتفاقية، أو المشاركة في ارتكاب هذه الجريمة (المادة 4). وتتناول المادة 5 من الاتفاقية مسؤولية الدول، وتنص على أنه لا يجوز لها تجنيد المرتزقة أو استخدامهم أو تمويلهم أو تدريبهم، ويجب عليها علاوة على ذلك حظر مثل هذه الأنشطة ويجب اتخاذ جميع التدابير القانونية والمناسبة لمنع تجنيد المرتزقة أو استخدامهم أو تمويلهم أو تدريبهم لغرض مقاومة الممارسة الشرعية لحق الشعوب غير القابل للتصرف في تقرير مصيرها. ويجب أن يعاقب على الجرائم المنصوص عليها في الاتفاقية بعقوبات مناسبة تأخذ في الاعتبار طبيعتها الخطيرة. وتطالب الاتفاقية الدولية الدول الاعضاء بالتعاون القضائي فيما بينهم لإقصى حد ممكن بما يشمل الاجراءات الجنائية التي يجب اتخاذها بشأن الجرائم المنصوص عليها في الاتفاقية . كما فرضت الاتفاقية اتخاذ اجراءات محاكمة المتهم سواء كان من مواطنيها او من مواطني دولة طرف يوجد على اقليمها الشخص المنسوب إليه الجرم أو اتخاذ اجراءات اخرى تضمن تسليمه على أن يلقى المتهم بجرم الارتزاق محاكمة عادلة.

وبناء على الاتفاقية الدولية، فإن اقتراف مهنة المرتزقة هو فعل غير شرعي ويقع خارج دائرة الشرعية في القانون الدولي العام ، وتعد جريمة دولية ذات اختصاص عالمي أي تستطيع أي دولة أن تحاكم المرتزق وفقا لقوانينها الوطنية . كذلك يعتبر التجنيد التي تقوم به الشركات العسكرية والأمنية الخاصة عمل غير مشروع وهو ما طالب به المقرر الخاص الأممي المعني بمسألة المرتزقة ومكافحتها. فالمطلوب هو مكافحة كل الأساليب التي تعمل بها المرتزقة التي في أغلبها لا تحكمها أي قواعد قانونية أو اجرائية . من هنا كانت الحاجة إلى التأكيد على ضرورة خضوع تلك الشركات لقواعد القانون الدولي الانساني وحقوق الانسان وهو أكدت عليه وثيقة مونترو (غير ملزمة)التي اطلقتها سويسرا واللجنة الدولية للصليب الأحمر في أوائل عام 2006 وتم اعتمادها نهائيا في سبتمبر 2008 ، و تتضمن القواعد القانونية الواجب على الدول المتعاقدة والشركات العسكرية والأمنية اتباعها لضمان عدم انتهاك القانون الدولي الانساني ، كذلك اشتملت على أفضل الممارسات الكفيلة لضمان حقوق الانسان اثناء عمل الشركات العسكرية في الدولة المتعاقدة معها. وبالرغم من ذلك، مازالت أنشطة هذه الشركات محل جدل قانوني لم يحسم بعد.

مسؤولية مزدوجي الجنسية عن جرائم الحرب

تحدثت تقارير أخرى عن مشاركة الالاف من مزدوجي الجنسية في حرب غزة، أي ممن يحملون الجنسية الاسرائيلية وجنسية دولة أخرى وبالتالي هم من جنود الاحتياط، و لا ينطبق عليهم تعريف المرتزقة الوارد اعلاه، إلا أنهم معرضون للمساءلة القانونية من قبل الدول التي يحملون جنسيتها . فمعظم الدول تمنع مواطنيها من المشاركة في نزاعات مسلحة في دولة أخرى وإن كانوا من حملة جنسيتها وبعضها الآخر يفرض أخذ الموافقة المسبقة وإلا تعرضوا للملاحقة القانونية وسحب الجنسية . وهو ما اعلنته جنوب افريقيا على نحو صريح وواضح من أن مواطنيها المشاركين في الحرب الاسرائيلية سيتعرضون للملاحقة القانونية الجنائية بتهمة التواطؤ بارتكاب جرائم حرب وقد يتم سحب جنسيتهم الجنوب افريقية وعليهم الحصول على إذن مسبق قبل الالتحاق بالجيش الاسرائيلي وفقا لقانون الجنسية لعام 1995 . وصرّح النائب الفرنسي توماس بورتس أن أكثر من 4 الاف فرنسي من حاملي الجنسية الاسرائيلية يقاتلون في غزة وأنه على وزير العدل احالة مزدوجي الجنسية المدانين بارتكاب جرائم حرب إلى القضاء الفرنسي . كذلك ، تقدم المركز الدولي للعدالة من اجل الفلسطينيين بطلب عاجل إلى وزارة الخارجية البريطانية لتوضيح موقفها بشأن ذهاب البريطانيين للقتال في اسرائيل ووفقا لتقارير المركز فإن المئات من المواطنين البريطانيين غادروا البلاد للمشاركة إلى جانب قوات الاحتلال منذ 7 اكتوبر ويعتقد أنهم متواطئين بالفعل في ارتكاب جرائم حرب أو ضد الانسانية وقد يواجهون محاكمات مستقلة. ويطالب المركز من بريطانيا أن تتخذ موقفا مماثلا لذلك الذي اتخذته تجاه من شارك من مواطنيها في حرب اوكرانيا إذ اعتبرت مشاركتهم جريمة جنائية.

إن استخدام المرتزقة هو جريمة دولية تضاف إلى سجل الجيش الاسرائيلي الحافل بشتى انواع الجرائم الدولية ، فهو مخالف للقانون الدولي ولقرارات الأمم المتحدة التي تدين الارتزاق وتجنيد المرتزقة وتعتبره مصدر تهديد للاستقرار العالمي وانتهاك لحقوق الانسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها. وهو استخدام يحمل في طياته اقرارا أن الكيان الصهيوني غير قادر بمفرده على مواجهة حركة التحرر الوطني الفلسطينية.

متابعة

قانون استقلالية القضاء رهينة التوافق السياسي

في الجلسة النيابية التشريعية التي انعقدت في 14 و15 من الشهر الجاري، طلب رئيس حكومة تصريف الاعمال من المجلس النيابي سحب اقتراح قانون استقلالية القضاء العدلي من المجلس النيابي واحالته إلى اللجان لدرسه مجدداً، بعد التداول بين أعضاء اللجنة، تقرر تكليف أحد أعضاء اللجنة تلخيص الملاحظات ووضع تقرير بها على أن تبدأ اللجنة درسها بحسب كل مادة متعلقة بها.

وفي 2023/1/17، انعقدت لجنة الإدارة والعدل لإعادة البحث في طريقة تشكيل مجلس القضاء الأعلى على ضوء ملاحظات وزارة العدل، وتبين وجود أكثر من رأي حول عدد الأعضاء المنتخبين والحكميين. إذ اقترحت وزارة العدل وجود ثلاثة أعضاء حكميين وانتخاب أربعة أعضاء على أن يتولى الأعضاء السبعة انتخاب الأعضاء الثلاثة المتبقين. وخلال النقاش، كان الرأي الغالب بانتخاب كامل أعضاء المجلس، على أن توزّع المقاعد على كل مستويات المحاكم.

أخيراً، بعد إعادة القانون إلى اللجان، كانت ملاحظات وزير العدل ترى بوجوب انتخاب أربعة أعضاء، إضافة إلى الثلاثة الحكميين (رئيس مجلس القضاء الأعلى والنائب العام التمييزي ورئيس هيئة التفتيش القضائي (يعيّنهم مجلس الوزراء)، ثم يقوم الأعضاء السبعة بترشيح أسماء ستّة قضاة، ليختار مجلس الوزراء ثلاثة منهم يعينون بمرسوم. أي، بالخلاصة، يعيّن مجلس الوزراء ستة من الأعضاء العشرة كونه هو من يعين الأعضاء الثلاثة الحكميين، فتكون النتيجة 60% للحكومة و40 في المئة للقضاة، أي استقلالية بنسبة لا تتجاوز 40%، ما يخالف المادة 20 من الدستور التي تقول إن القضاة مستقلون لأن الاستقلالية ليست جزئية.

وإذا كان التوجّه النيابي يأخذ منحى مختلفاً عما ترغب فيه وزارة العدل، وهو أمر يجوز للمجلس أن يفعله، كأن الأجدى إقرار القانون. لكن المشكلة هي في غياب رئيس الجمهورية، لأن نشر القانون وإصداره يستدعي موافقة الرئيس الذي يُصدر القوانين وفقاً للمهل المحددة في الدستور بعد أن يوافق عليها المجلس عملاً بمنطوق المادة 51 من الدستور، ووفقاً لأحكام المادة 56 منه التي تنص على أن رئيس الجمهورية يصدر القوانين التي تمت الموافقة النهائية عليها في شهر بعد إحالتها إلى الحكومة ويطلب نشرها.

أما القوانين التي يتخذ المجلس قراراً بوجوب استعجال إصدارها، فيجب عليه أن يصدرها خلال خمسة أيام ويطلب نشرها.

أما القول إن وزير العدل فوجئ بأن المجلس النيابي لم يأخذ بجميع ملاحظاته، فهو مردود لأنه يماثل القول إن إقرار أي قانون يستدعي حتماً موافقة الحكومة، وهذا مرفوض وغير منطقي ويتعارض مع استقلال السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية. فالمجلس النيابي هو المشترع الذي يضع القوانين التي ينبغي على الحكومة الالتزام بها. وليس من موجبات المجلس النيابي الحصول على موافقة الحكومة، باستثناء موجب التعاون بين السلطات الذي أجازه الدستور.

> المجلس النيابي هو المشترع الذي يضع القوانين التي ينبغي على الحكومة الالتزام بها، وليس من موجباته الحصول على موافقتها

والدستور واضح في مادته السادسة عشرة بأن السلطة المشترعة تتولاها هيئة واحدة هي مجلس النواب. كما بعض أعضاء اللجنة أن عدداً من هذه الملاحظات يضرب استقلالية القضاء. وبعد التداول بين أعضاء اللجنة، تقرر تكليف أحد أعضاء اللجنة تلخيص الملاحظات ووضع تقرير بها على أن تبدأ اللجنة درسها بحسب كل مادة متعلقة بها.

وفي 2023/1/17، انعقدت لجنة الإدارة والعدل لإعادة البحث في طريقة تشكيل مجلس القضاء الأعلى على ضوء ملاحظات وزارة العدل، وتبين وجود أكثر من رأي حول عدد الأعضاء المنتخبين والحكميين. إذ اقترحت وزارة العدل وجود ثلاثة أعضاء حكميين وانتخاب أربعة أعضاء على أن يتولى الأعضاء السبعة انتخاب الأعضاء الثلاثة المتبقين. وخلال النقاش، كان الرأي الغالب بانتخاب كامل أعضاء المجلس، على أن توزّع المقاعد على كل مستويات المحاكم.

أخيراً، بعد إعادة القانون إلى اللجان، كانت ملاحظات وزير العدل ترى بوجوب انتخاب أربعة أعضاء، إضافة إلى الثلاثة الحكميين (رئيس مجلس القضاء الأعلى والنائب العام التمييزي ورئيس هيئة التفتيش القضائي (يعيّنهم مجلس الوزراء)، ثم يقوم الأعضاء السبعة بترشيح أسماء ستّة قضاة، ليختار مجلس الوزراء ثلاثة منهم يعينون بمرسوم. أي، بالخلاصة، يعيّن مجلس الوزراء ستة من الأعضاء العشرة كونه هو من يعين الأعضاء الثلاثة الحكميين، فتكون النتيجة 60% للحكومة و40 في المئة للقضاة، أي استقلالية بنسبة لا تتجاوز 40%، ما يخالف المادة 20 من الدستور التي تقول إن القضاة مستقلون لأن الاستقلالية ليست جزئية.

وإذا كان التوجّه النيابي يأخذ منحى مختلفاً عما ترغب فيه وزارة العدل، وهو أمر يجوز للمجلس أن يفعله، كأن الأجدى إقرار القانون. لكن المشكلة هي في غياب رئيس الجمهورية، لأن نشر القانون وإصداره يستدعي موافقة الرئيس الذي يُصدر القوانين وفقاً للمهل المحددة في الدستور بعد أن يوافق عليها المجلس عملاً بمنطوق المادة 51 من الدستور، ووفقاً لأحكام المادة 56 منه التي تنص على أن رئيس الجمهورية يصدر القوانين التي تمت الموافقة النهائية عليها في شهر بعد إحالتها إلى الحكومة ويطلب نشرها.

أما القوانين التي يتخذ المجلس قراراً بوجوب استعجال إصدارها، فيجب عليه أن يصدرها خلال خمسة أيام ويطلب نشرها.

أما القول إن وزير العدل فوجئ بأن المجلس النيابي لم يأخذ بجميع ملاحظاته، فهو مردود

صادف علوية

قد تكون أسباباً «معقولة» تلك التي دفعت رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي إلى الطلب من المجلس النيابي سحب اقتراح قانون استقلالية القضاء العدلي، وإعادته إلى اللجان للأخذ بالملاحظات التي اقترحها وزير العدل هنري خوري ومجلس القضاء الأعلى. لكن يتبيّن، بعد التدقيق، وبعدما تابعت «القوس» حيثيات النقاشات التي جرت في لجنة الإدارة والعدل على امتداد السنة المنصرمة، أنّ هذه الأسباب قد لا تكون معقولة ولا مقبولة. فالتوافق اللبناني حول هذه المسألة ليس متوافراً ولا توجد رغبة صادقة بإقرار آليات استقلالية القضاء. ففي 2023/1/3، عقدت لجنة الإدارة والعدل جلسة برئاسة رئيسها النائب جورج عدوان وحضور عدد من النواب لإعادة درس اقتراح قانون استقلالية القضاء العدلي، على ضوء ملاحظات وزارة العدل. وقد بدأت الجلسة بالإطلاع على ملاحظات الوزير حول عدد من الأحكام التي تضمنها اقتراح القانون الذي سبق للجنة أن درسته وأقرته معدلاً، بحضور وزارة العدل ومجلس القضاء الأعلى ونقابتي المحامين في بيروت وطرابلس، وأحالته إلى الهيئة العامة. لذلك، استغرب بعض النواب طلب رئيس الحكومة لأن وزارة العدل حضرت كل جلسات اللجنة أثناء درس الاقتراح، كما أن خوري طلب، في جلسة الهيئة العامة قبل نحو عام، مهلة شهر لإبداء الملاحظات، وقد مرّ نحو سنة قبل إبدائها.

ويمكن تصنيف الملاحظات بين أساسية تتعلق بالتشكيلات القضائية وتشكيل مجلس القضاء الأعلى وطريقة انتخاب أعضائه، وأخرى فرعية. ورأى

المختبر الجنائي

كيف يُمكن لـ«تأثير الهالة» أن يُحرف مسار التحقيقات
الزاوية العمياء

جنان الخطيب

في غرفة التحقيق، جلس المحقق عادل المصري أمام الدكتورة أميرة جمال، جرّاحة الأعصاب الشهيرة المشتبهة بقتل طليقها. المحقق، المعروف بتشككه الدائم، وجد نفسه منجذباً بطريقة غير مفسّرة إلى سلوكها الهادئ وعينيها الحزينتين. كل كلمة تنطقها، مشبعة بالحزن والندم، كانت تنخر في جدار الشك الذي بناه بعناية. «ترسم الأدلة صورة قاتمة، صورةً من اليأس لا من نيّة القتل»، يقول المحقق محاولاً إقناع القاضي بفرضية الانتحار، فهو يرى أن المشتبه بها امرأة ناجحة و«مستحيل تعملها». أهمل المحقق نتائج الخبرة الفنية والمباحث العلمية في القضية موضوع مهمته، والتي تنسف بشكل حاسم رواية الانتحار، وبدا يحرّف التحليلات العلمية للأدلة الأخرى لوضعها في السياق والإطار اللذين يخدمان فرضيته المزعومة. إلى ذلك، بنى المحقق قضيته ببراعة. شرح تدهور الحالة النفسية للضحية، مشيرًا إلى الضغوط المالية، والعلاقة المتصدعة، والعزلة الاجتماعية. قدّم سجلات مالية تكشف عن ديون متصاعدة، ورسائل إلكترونية تُظهر علاقات شخصية متوترة، ومنشورات على وسائل التواصل الاجتماعي تلمح إلى يأس متزايد.

يمكن أن يلعب تأثير الهالة دورًا خفيًا وإشكاليًا في التحقيقات الجنائية، ما قد يؤدي إلى تقييمات متحيّزة للمشتبه بهم والشهود والأدلة. فمن المفترض أن تعتمد «العدالة» على التقييم الدقيق لجميع الأدلة المتاحة، وليس على «الكاريزما» أو البلاغة لأيّ فرد، سواء كان قاضيًا أو محققًا أو خبيرًا أو مشتبهًا به أو أي شخص آخر مشارك في الإجراءات. من خلال فهم المخاطر المحتملة لتأثير الهالة، يمكن للقائمين على نظام العدالة الجنائية السعي لتحقيق موضوعية أكبر وضمان استخلاص استنتاجاتهم بناءً على أدلة قوية، وليس على تحيّزات لاشعورية.

تأثير «الهالة» على القضاة

يُمكن أن يكون لـ«تأثير الهالة» عدد من التأثيرات المحتملة على القضاة، منها التحيّز المسبق لأحد الأطراف، فإذا كان لدى القاضي انطباع إيجابي عن طرف معين بسبب مظهره أو سلوكه أو خلفيته المتصورة، فقد يميل دون وعي إلى الحكم لمصلحته. وهذا يمكن أن يكون إشكاليًا لأنه قد يؤدي إلى قرارات غير عادلة. إلى ذلك، فإن القاضي الذي ينظر إلى المتهم بشكل إيجابي قد يكون أكثر ميلًا لإصدار عقوبة أخف أو تقديم خيارات عقوبة بديلة. وهذا يمكن أن يكون مفيدًا للمتهم، لكن يمكن اعتباره غير عادل من قبل الضحية أو المجتمع بصفة عامة.

تأثير الهالة لدى المحقق: عندما يضيء الانطباع الاول ويعمي البصيرة

يُشير «تأثير الهالة» لدى المحققين إلى تحيز إدراكي، إذ حيث يؤثر انطباعهم الإيجابي العام عن شخص ما بشكل لاشعوري على أحكامهم وتصرفاتهم في قضية معينة. وهذا يمكن أن يؤثر على التحقيق بعدة طرق، أولاً من خلال معاملة تفضيلية لبعض المشتبه بهم. فقد يُعامل المشتبه بهم الجذابون أو الأنيقون باحترام أكبر ويخضعون لاستجواب أقل صرامة، أو قد يُمنح المشتبه بهم ذوو المكانة الاجتماعية العالية (مثل المحترفين والمشاهير) المزيد من التسامح أو يُعطى تفسيرهم وزنًا غير مبرر. الأخطر من ذلك هو التقييم المشوّه للأدلة، عندما يقلل المحققون (من دون وعي) من أهمية الأدلة أو يتجاهلونها إذا كانت تتناقض مع انطباعهم الإيجابي عن المشتبه به، بينما يقبلون بسهولة الأدلة التي تعززه. في حالات أخرى، قد يتم إعطاء مصادر المعلومات التي يُنظر إليها على أنها أكثر موثوقية (على سبيل المثال، بسبب تأثير الهالة) وزنًا أكبر لشهادتها، حتى لو كانت غير موثوقة، فتصبح «الموضوعية والعدالة» معرّضتين للخطر بسبب تداخل تحيّزات المحقق الشخصية وافتراضاته مع قدرته على إجراء تحقيق شامل محايد، فيما يتم إهمال خطوط معينة من الاستفسار، الأمر الذي قد يؤدي إلى إغفال أدلة حاسمة، إذا كانت تلقي الشك على الانطباع الإيجابي الأوّلي للمحقق.

تأثير الهالة على الخبراء والأطباء الشرعيين: عندما تطغى الخبرة على الواقع

قد يلعب «تأثير الهالة» دورًا مهمًا في قاعة المحكمة عندما يتعلق الأمر بالخبراء. إن مشاهدة سلوكهم الواثق، ومؤهلاتهم المثيرة للإعجاب، وتفسيراتهم الواضحة، يمكن أن تؤثر من دون وعي على القضاة، ما قد يعطي شهاداتهم وزنًا غير مبرر حتى لو لم يكن ذلك مستحقًا تمامًا. فقد يُنظر إلى الخبراء الذين يرتدون ملابس أنيقة، ويتحدثون ببراعة على أنهم أكثر موثوقية ومعرفة، بغض النظر عن خبرتهم الفعلية.

> قد يُنظر إلى الخبراء الذين يرتدون ملابس أنيقة، ويتحدثون ببراعة على أنهم أكثر موثوقية ومعرفة، بغض النظر عن خبرتهم الفعلية

متابعة

قانون الايجارات للاماكن غير السكنية
الدولة المستفيد الأكبر من التمديد

صادق علوية

تأخر قانون الايجارات العتيد أكثر من تسع سنوات قبل صدوره في 2014/9/5، ونص على أن تعدّ الحكومة مشروع قانون يشمل عقود الإيجار غير السكنية. في 2017/2/28، صدر قانون تعديلي لقانون الإيجارات يحمل الرقم 2، وينص في مادته الـ 38 على تمديد عقود الإيجار غير السكنية إلى حين إنجاز هذا المشروع، ووضع مهلة قصوى لذلك بحلول 2018/12/31، تم تمديدها تباعا عام 2018 بموجب القانون رقم 111، وعام 2020 بموجب القانون رقم 176، وأخيراً عام 2021 بموجب القانون243 لغاية 2022/6/30 ضمناً، إلى ان أقر مجلس النواب القانون المفقود في جلسته التي عُقدت في 14 و15 الجاري.

تجدر الإشارة الى أن مجلس الوزراء كان قد قرر في جلسته المنعقدة في 19 كانون الاول 2023 وبموجب قراره رقم 5 إصدار القوانين التي كان مجلس النواب قد أقرها في جلسته التي عُقدت يومي 14 و15 كانون الاول الجاري والبالغ عددها اربعة عشر قانوناً، إلا أن رئيس مجلس الوزراء قرر بموجب بيان صادر عن المديرية العامة لرئاسة مجلس الوزراء مساء 26 كانون الاول 2023 يفيد فيه عدم نشر ثلاث قوانين لإعادة عرضها على مجلس الوزراء لاعادتها الى المجلس النيابي في بدعة غريبة على الدستور ولكنها تلقى توافقا سياسيا .

القانون تضمن اليات معقدة لاحتساب بدل الزيادة السنوية، كان الأجدى تحديدها باضعاف من قيمة البدل الحالي، من دون تكبيد المواطنين كلفة التقاضي واتعاب المحامين والنزاع حول بدل الإيجار، بعدما ربط البدل بقيمة العقار، وهنا يثور الخلاف بين المستأجر والمالك.

من جهة أخرى، وضع القانون أحكاما خاصة للزيادة في حالتين، إحداهما في حال كان الإيجار عنصرا من عناصر المؤسسة التجارية.

ولكن، في كل الأحوال، كانت ستتحرر العقود بعد أربع سنوات من تاريخ نشر القانون،بما فيها عقود العقارات التي تستأجرها الدولة ولكن هذا التمديد مؤقت بفترة زمنيّة أقصاها أربع سنوات ، إلا أن إعادة القانون الى المجلس النيابي تعني أن التمديد القانوني للأماكن غير السكنية قد انتهى وعدنا الى نقطة الصفر.

ما هو نطاق القانون؟

يشمل قانون الايجارات للأماكن غير السكنية حصراً عقود إيجار العقارات المبنية للأماكن غير السكنية المعقودة والمنتهية مدتها الأصلية قبل 23/7/1992، أيا كان المستأجر، سواء كان الدولة او الأفراد او المؤسسات العامة أو الخاصة وغيرها. وهو لا يشمل بأي حال من الأحوال أي عقد تم تنظيمه بعد 1992/7/23.

ما هو مفهوم الاماكن غير السكنية؟

تعتبر أماكن غير سكنية تلك المؤجرة لممارسة التجارة او الصناعة او أي مهنة حرة منظمة بقانون او مهنة حرفية أو أي نشاط آخر غير سكني بما فيها تلك المستأجرة من قبل الدولة والمؤسسات العامة وغيرها.

هل هذا القانون هذه العقود؟

قرر القانون تمديد الإيجارات في الأماكن غير السكنية:

1- لمدة سنتين فقط من تاريخ نفاذ هذا القانون في حال تنازل المؤجّر عن حقه في الزيادات التدريجية المحددة في القانون.

2- أو لمدة اقصاها أربع سنوات من تاريخ نفاذ هذا القانون في حال طالب المؤجر بالزيادات التدريجية على بدل الإيجار المحدد في القانون، وبعدها تصبح الإجارة حرة وخاضعة لإرادة المتعاقدين.

ما هي قيمة الزيادة المالية التي قررها القانون؟

اعتمد القانون زيادة معقدة تحتاج الى خبير لتحديدها، فهو ينص على زيادة بدل الإيجار المتوجب بتاريخ نفاذ هذا القانون سنوياً على أربع سنوات وتباعاً وفق عدة أسس:

أولاً: بالنسبة للأماكن المؤجرة لشخص طبيعي او معنوي يكون أو يصبح مالكاً أبنية او حصصاً شائعة في أماكن يزيد نصيبه من مجموع بدلات إيجارها الفعلية على عشرة أمثال بدل إيجار المأجورالذي يشغله، فإن بدلات الإيجارات تضاعف مرة واحدة في هذه الحالة.

ثانياً: في حال كانت الإيجارات المعتبرة عنصراً من عناصر المؤسسة التجارية والتي يجري عليها عقد تفرغ أو عقد إدارة حرة وفقاً لأحكام المرسوم الاشتراعي الرقم 1967/11 وذلك طوال فترة الإدارة الحرة، يُضاعف بدل الإيجار وفقاً للآلية الآتية:

1- في حال كان البدل السنوي أقل من مئتي ألف ليرة يُضاعف عشرين ضعفاً.

2- في حال كان البدل السنوي بين مئتي ألف ليرة وخمسمائة ألف ليرة يُضاعف عشرة أضعاف.

3- في حال كان البدل السنوي بين خمسمائة ألف ليرة ومليون ليرة يُضاعف سبعة أضعاف.

4- في حال كان البدل السنوي بين مليون ليرة وخمسة ملايين ليرة يُضاعف خمسة أضعاف.

5- في حال كان البدل السنوي بين خمسة ملايين ليرة وعشرة ملايين ليرة يُضاعف مرة واحدة

ثالثا : أما بالنسبة للعقود غير السكنية الأخرى، ومنها العقارات المستأجرة من الدولة والهيئات والمؤسسات العامة، فإنها تُزاد وفقاً لما يلي:

1 -السنة الأولى:25% خمسة وعشرون بالمائة من قيمة فارق الزيادة بين البدل المعمول به قبل نفاذ هذا القانون وبدل المثل

2- السنة الثانية: 50% خمسون بالمائة من قيمة فارق الزيادة المنوّه عنها اعلاه

3- السنتان الثالثة والرابعة مساوياً لقيمة بدل المثل

> يرتبط تحديد بدل المثل بقيمة العقار، وبالتالي فإن ذلك يستدعي تحديد قيمة المأجور. وقد أوجد القانون حالتين لذلك، إما تحديد بدل المثل رضاء، او قضاء أي من قبل القاضي، وبالتالي فإن تحديده يكون إمّا بالتراضي أو باللجوء الى القضاء.

كيف يحصل التراضي بين المالك والمستأجر؟

يمكن للطرفين في جميع الأحوال الاتفاق على تحديد بدل الإيجار الجديد وتوقيع اتفاق بذلك، كما يمكنهما اتباع الآلية المحددة في القانون، حيث يقوم المؤجر بإرسال كتاب دعوة للمستأجر يدعوه بموجبه للتفاوض. ويمكن ارسال تلك الدعوة إما بموجب بطاقة مكشوفة مضمونة مع إشعار بالاستلام أو بموجب كتاب بواسطة الكاتب العدل. بعد تبلغ المستأجر لدعوة المالك، يتوجب عليه الإجابة بموجب كتاب خلال مهلة 20 يوما، وبعد اتفاقهما على تحديد البدل بموجب اتفاق رضائي بينهما يتمّ توقيع عقد خطي بهذا الخصوص.

ماذا يفعل المالك او المستاجر إذا لم يتوصل الى اتفاق مع المستاجر او في حال تعذر إجراء معاملة التبليغ او عدم رد المستاجر ضمن مهلة 20 يوما؟

في حال عدم التوصل إلى اتفاق رضائي على تحديد بدل المثل، أو في حال تعذر إجراء معاملة التبليغ، أو في حال عدم ردّ المستاجر ضمن مهلة 20 يوماً، يتوجب على المؤجر او المستاجر اتباع الإجراءات الآتية:

● تقديم استحضار من احدهما أو تقديم عريضة مشتركة بين المالك والمستأجر لتحديد بدل المثل قضاءً، أمام القاضي المنفرد المدني الناظر في دعاوى الإيجارات الذي يقع المأجور ضمن نطاق صلاحيته.

● يُصدر القاضي قراره بتعيين خبير خلال مهلة أسبوع واحد من تاريخ تقديم الدعوى أو العريضة المشتركة أمامه.

● على الخبير تقديم تقريره في مهلة أقصاها أسبوعان من تاريخ إبلاغه المهمة، وتكون هذه المهلة قابلة للتمديد لمدة مماثلة ولمرة واحدة بناءً على طلب الخبير ولأسباب جدية وجوهرية يقرار معلل، وذلك تحت طائلة استبداله بخبير آخر.

● فور ورود التقرير يجرى إبلاغه للفريقين بواسطة قلم المحكمة، ويكون لهما مهلة أسبوع واحد للتعليق عليه وهذه المهلة غير قابلة للتمديد إلا لمدّة مماثلة، ولمرّة واحدة، وبقرار معلل من القاضي، ولأسباب جدّية، على أن يتم التبادل في القلم، وذلك تحت طائلة عدم قبول أي لائحة أو تعليق خارجها.

● بعد اختتام المحاكمة، على القاضي إصدار حكمه في مهلة أقصاها شهر واحد يلي اختتام المحاكمة.

● يكون قرار القاضي بتحديد بدل المثل قابلاً للاستئناف خلال مهلة ثمانية أيام من تاريخ التبليغ.

● يكون قرار محكمة الاستئناف في هذا الموضوع مبرماً وغير قابل لأيّ طريق من طرق الطعن العادية أو غير العادية.

للماجور في حالته الحاضرة في ما لو كان خالياً.

من يحدّد بدل المثل؟

يرتبط تحديد بدل المثل بقيمة العقار، وبالتالي فإن ذلك يستدعي تحديد قيمة المأجور. وقد أوجد القانون حالتين لذلك، إما تحديد بدل المثل رضاء، او قضاء أي من قبل القاضي، وبالتالي فإن تحديده يكون إمّا بالتراضي أو باللجوء الى القضاء.

كيف يحصل التراضي بين المالك والمستأجر؟

يمكن للطرفين في جميع الأحوال الاتفاق على تحديد بدل الإيجار الجديد وتوقيع اتفاق بذلك، كما يمكنهما اتباع الآلية المحددة في القانون، حيث يقوم المؤجر بإرسال كتاب دعوة للمستأجر يدعوه بموجبه للتفاوض. ويمكن ارسال تلك الدعوة إما بموجب بطاقة مكشوفة مضمونة مع إشعار بالاستلام أو بموجب كتاب بواسطة الكاتب العدل. بعد تبلغ المستأجر لدعوة المالك، يتوجب عليه الإجابة بموجب كتاب خلال مهلة 20 يوما، وبعد اتفاقهما على تحديد البدل بموجب اتفاق رضائي بينهما يتمّ توقيع عقد خطي بهذا الخصوص.

ماذا يفعل المالك او المستاجر إذا لم يتوصل الى اتفاق مع المستاجر او في حال تعذر إجراء معاملة التبليغ او عدم رد المستاجر ضمن مهلة 20 يوما؟

في حال عدم التوصل إلى اتفاق رضائي على تحديد بدل المثل، أو في حال تعذر إجراء معاملة التبليغ، أو في حال عدم ردّ المستاجر ضمن مهلة 20 يوماً، يتوجب على المؤجر او المستاجر اتباع الإجراءات الآتية:

● تقديم استحضار من احدهما أو تقديم عريضة مشتركة بين المالك والمستأجر لتحديد بدل المثل قضاءً، أمام القاضي المنفرد المدني الناظر في دعاوى الإيجارات الذي يقع المأجور ضمن نطاق صلاحيته.

● يُصدر القاضي قراره بتعيين خبير خلال مهلة أسبوع واحد من تاريخ تقديم الدعوى أو العريضة المشتركة أمامه.

● على الخبير تقديم تقريره في مهلة أقصاها أسبوعان من تاريخ إبلاغه المهمة، وتكون هذه المهلة قابلة للتمديد لمدة مماثلة ولمرة واحدة بناءً على طلب الخبير ولأسباب جدية وجوهرية يقرار معلل، وذلك تحت طائلة استبداله بخبير آخر.

● فور ورود التقرير يجرى إبلاغه للفريقين بواسطة قلم المحكمة، ويكون لهما مهلة أسبوع واحد للتعليق عليه وهذه المهلة غير قابلة للتمديد إلا لمدّة مماثلة، ولمرّة واحدة، وبقرار معلل من القاضي، ولأسباب جدّية، على أن يتم التبادل في القلم، وذلك تحت طائلة عدم قبول أي لائحة أو تعليق خارجها.

● بعد اختتام المحاكمة، على القاضي إصدار حكمه في مهلة أقصاها شهر واحد يلي اختتام المحاكمة.

● يكون قرار القاضي بتحديد بدل المثل قابلاً للاستئناف خلال مهلة ثمانية أيام من تاريخ التبليغ.

● يكون قرار محكمة الاستئناف في هذا الموضوع مبرماً وغير قابل لأيّ طريق من طرق الطعن العادية أو غير العادية.

> يرتبط تحديد بدل المثل بقيمة العقار، وبالتالي فإن ذلك يستدعي تحديد قيمة المأجور. وقد أوجد القانون حالتين لذلك، إما تحديد بدل المثل رضاء، او قضاء أي من قبل القاضي، وبالتالي فإن تحديده يكون إمّا بالتراضي أو باللجوء الى القضاء.

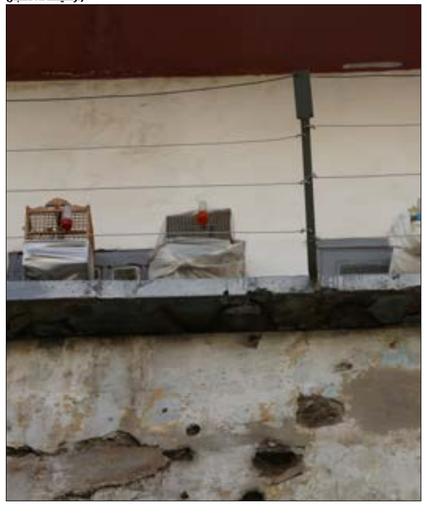

(ارشيف ـ الاخبار)

لسنا نُبصرُ بوضوح

لم تتوفر بعد بيانات شاملة عن الجرائم لعام 2023 بأكمله في لبنان، فيما تشير التقارير الواردة للأشهر السبعة الأولى من العام إلى انخفاض كبير في الجريمة مقارنةً بالفترة نفسها من عام 2022. فقد أفادت قوى الأمن الداخلي عن انخفاض بنسبة 38% في إجمالي الجرائم المبلّغ عنها، بما في ذلك انخفاض في سرقة السيارات (24%) والقتل (22%) والنشل (52%).

وبغضّ النظر عن عدد الجرائم التي تم تسجيلها، والتي تتناول نسبة الشكاوى المسجلة لدى القوى الأمنية لا نسبة أنواع الجرائم المرتكبة (راجع القوس: نِسَب الجريمة)، كنا قد لاحظنا في قسم المختبر الجنائي في «القوس»، على مدار عام 2023، ابتكارات جديدة للمجرمين بما في ذلك تنظيف مسرح الجريمة وفبركة الأدلة. كما لفتنا إلى مؤشرات مقلقة عن تنامي أنواع جديدة من الجرائم تعكس الانهيار الاقتصادي والأزمة الاجتماعية والانحلال الأخلاقي و«فلتان» الأطفال في الشوارع. (راجع القوس: مؤشرات مقلقة).

وما يزيد الطين بلة، شلل المرفق القضائي وازدياد السلوكيات التي تخالف القواعد والإجراءات التي يجب اتباعها في الإجراءات الجنائية، أبرزها تسريب التحقيقات وإطلاق الأحكام والإدانات المتسرعة. يضاف إلى ذلك المشكلات والتحديات الأخرى التي تواجه عمل القائمين على نظام العدالة الجنائية والتي تعود إلى النقص في المعرفة والكفاءة والشغف، وتدهور قيمة الرواتب والأجور، مع ازدياد نفوذ السلطة الإعلامية، والتي كانت في قضايا عدة تتولّى دور المحقق القضائي وتتسرّع في حسم الحقائق وإصدار الأحكام وإطلاق الإدانات قبل صدور الأحكام من المحكمة المستقلة.

وبعد عامين من مراقبة اتجاهات الجريمة واستكشاف التحديات والمشاكل التي تواجه التحقيقات الجنائية والشرعية، يبدو أن نظام العدالة الجنائية في لبنان لا يبصر بوضوح.

والأخطر من ذلك أنه عندما تتوافق شهادة الخبير أو الطبيب الشرعي مع معتقدات القاضي، فقد يتم قبولها بسهولة دون تقييم نقدي، بينما قد يتم تجاهل الآراء المخالفة. إلى ذلك، يميل بعض الخبراء والأطباء إلى الاعتماد المفرط على المصطلحات المعقدة والتقنية واستعمال لغة متخصصة، والتي، بينما تهدف إلى إظهار المعرفة، يمكن أن تبدو ساحقة بالنسبة إلى عامة الناس، ما قد يخلق هالة من العصمة حول استنتاجاتهم. في أحيان أخرى، لا يكون القضاة مجهّزين للتعرف إلى قيود الشهادة الخبيرة، وخاصة في المجالات خارج نطاق تخصصهم، وبالتالي قد يفترضون أنّ أيّ رأي خبير يمثل حقيقة مطلقة، متجاهلين التحيّزات المحتملة أو العيوب المنهجية.

*جميع الأسماء مستعارة

إعداد **ياسر الموسوي**

«طوفان الأقصى» السيبراني

إلى جانب صمود المقاومة في ميادين القتال، تبرز الحرب الإلكترونية جليّاً في المواجهة مع العدو الإسرائيلي، بدءاً من الهجمات السيبرانية المنظّمة أو الفردية التي تلحق خسائر بالعدو، مروراً بمواجهة سرديّته ودعايته عبر منصّات التواصل الاجتماعي، وصولاً إلى التوعية الفردية والجماعية في فضاء الإنترنت، حيث يمتلك العدو قدرات تكنولوجية وأمنيّة متفوّقة

مقاطع وصور وأخبار مضلّلة

مع بداية الحرب انتشرت في فلسطين المحتلّة وفي جنوب لبنان مقاطع فيديو وصور وملفّات صوتية تهدف في غالب الأحيان إلى التضليل (فيديوهات قديمة أو من ساحات حروب أخرى جرى التلاعب بمضمونها الصوتي أو البصري، كما حصل في الادّعاء الصهيوني حول استهداف مستشفى المعمداني وما رافقه من أضاليل وأخبار كاذبة).

فبركة المحتوى

جرت فبركة صور ومقاطع عبر تقنيات الفوتوشوب أو الذكاء الاصطناعي والتعلّم العميق من أجل حرف الحقائق أو كسب تعاطف مع السرديات الواهية والدّعاية التي يبثّها العدو.

حسابات معادية

تمتلئ منصّات التواصل الاجتماعي بحسابات تبثّ دعاية صهيونية على مدار الساعة، وقد تكون غالبيتها ناطقةً باللغة العربيّة، ولذلك يُفترض تجنّب التفاعل بأي شكل من الأشكال مع هذه الحسابات (شخصيات حقيقية، بوتات، ذباب إلكتروني...).

هجومات سيبرانية/ قرصنة مواقع

منذ بداية معركة «طوفان الأقصى» والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزّة، رافقت مجريات الحرب العسكرية في الميدان حربٌ قد لا تقلّ أهميةً في الميدان الافتراضي

أو السيبراني. فمنذ اللحظة الأولى للطوفان، سُجّلت الآلاف من عمليات القرصنة والهجمات السيبرانية (زيادة بنسبة 18% تقريباً من الهجمات ضدّ أهداف إسرائيلية) تبنّتها جماعات أو منظّمات أو أفراد، واستهدفت عدداً من مرافق العدو الحيوية (مصانع، منشآت، بنى تحتيّة، مواقع إلكترونية حكومية، وسائل إعلام، شركات أمنية...). فعلى سبيل المثال، نفّذت مجموعة تطلق على نفسها «سايبر طوفان الأقصى» عمليات اختراق وقرصنة لعدد من المواقع واستحوذت على عدد كبير من البيانات، إضافة إلى مجموعات ومنظّمات هاكرز مختلفة كـ KillNet Anonymous، وأخرى تدعم القضية الفلسطينية، وتنشط بشكل يومي في استهداف العدو وحلفائه بمختلف أنواع الهجومات الإلكترونية، ولا سيما هجمات منع الخدمة DDoS Attacks وهجمات برامج الفدية والفيروسات، والهجمات على الأجهزة المحمولة، إضافة إلى الهجمات على أجهزة إنترنت الأشياء IOT مثل الكاميرات الأمنية والأجهزة والأدوات الأخرى المتّصلة بالإنترنت.

توعية رقمية في زمن الحرب

إلى جانب الحذر من التفاعل مع الحسابات المشبوهة، يُفترض الانتباه وأخذ الحيطة أثناء استخدامنا للأجهزة كالهواتف الذكيّة والحواسيب، واعتبار الحماية الإلكترونية والسيبرانية أولوية قصوى على الصعيدين الفردي والجماعي (تفعيل برمجيات الحماية على الأجهزة، تجنّب الرسائل والروابط والاتصالات المشبوهة، تجنّب المحتويات المفبركة أو المضلّلة والتبليغ عنها وعدم نشرها بحال عدم التأكّد منها ومن مصادرها الموثوقة، تبليغ الجهات الأمنيّة في حال التعرّض لعملية قرصنة أو هجوم إلكتروني، تجنّب نشر معلومات أو محتويات قد تكون مفيدةً للعدو، الحذر دائماً من تحوّل الهاتف إلى سلاح وأداة تجسّس في يد صاحبه ما يسهّل على العدو تحقيق أهدافه).

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous | al_qaous | alqaous22 | alqaous | 01/34 99 54
info@alqaous.com | www.alqaous.com